علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم
٤

حمد الجاسر

١٣٢٨ - ١٤٢١ هـ
١٩١٠ - ٢٠٠٠ م

جغرافي الجزيرة العربية ومؤرخها ونسابتها

تأليف
أحمد العلاونة

دار القلم
دمشق

حمد الجاسر

١٣٢٨ - ١٤٢١ هـ
١٩١٠ - ٢٠٠٠ م

جغرافي الجزيرة العربية ومؤرخها ونسابتها

تأليف
أحمد العلاونة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطّبعَة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

تُطلب جميع كتُبنا مِن :

دَار القَلم - دمشق : ص.ب: ٤٥٢٣ - ت: ٢٢٢٩١٧٧

الدّار الشّاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السّعُودية عن طريق

دَار البَشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

المقدمة

أحمدك اللهم على توفيقك حمد الشاكرين، وأصلِّي وأسلِّم على خاتم رسلك وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا كتاب أُفرده للتعريف بالعلاّمة الشيخ حمد الجاسر ـ أطال الله في النعمة بقاءه ومتعه بالصحة والعافية ـ وللتعريف بمؤلفاته.

وهو يقع في فصلين: الفصل الأول: لمحات من حياة حمد الجاسر. فتحدثت عن نسبه وولادته ونشأته وتعلُّمه، وفصّلت الحديث عن مشايخه، وتكلمت عن أعماله واشتغاله في الصحافة، وعن خزانة كتبه، ومضيت بالبحث إلى شعر الجاسر ونثره، وعنيت ببيان عنايته بالجزيرة العربية والأنساب، وقد عني بهما عناية لامزيد عليها، وهو أعلم من عرفنا ببلاد جزيرة العرب وأخبارها وأنسابها في زماننا هذا.

وتناولت رحلاته، ووازنت بينه وبين سلفنا الصالح في الرحلات العلمية من أجل المعرفة والتحقق والتثبت، ثم وقفت عند حبه للعلم فقد عرف حق العلم ونسي حق نفسه.

وأشرت إلى مكانته في السعودية وخارجها، وتطرقت إلى تثبته فيما يكتب، وعرضت لأمانته العلمية، وأبنت عن منهجه في التحقيق.

ثم وقفت طويلاً عند الحديث عنه ناقداً ومنقوداً، عسى أن يقتدي به من يكتب ويؤلف ويحقق وينقد، ثم عرّجت على موقفه من نشر الكتب التي تخالف

فكره ورأيه، وتحدثت عن مسلكه وأخلاقه، وختمت كلامي عن رأيه في رسم الكلمة العربية.

وأما الفصل الآخر: التعريف بالمؤلفات. وهو لبُّ الكتاب وعَصَبُه، فقد قسمته على ثلاثة أقسام متداخلة لأني رتبت الكتب ترتيب المعجم.

الأول: المؤلفات، تحدثت عنها بما يقتضي المقام، وقد أعرّف بكتابين في آن واحد، كحديثي عن كتاب تـاج العروس حين عرّفت بكتاب الجاسـر (نظرات في كتاب تـاج العروس).

الثـاني: التحقيقات. وقد عـرَّفت بها، ولم أتـرجم لمؤلفيها إلا للجزيري فقد أطلت النَّفَس في ترجمة الجزيري مؤلف (الدرر الفوائد) لأني لم أرَ - فيما اطلعت عليه - من وفّاه ترجمته كما وفّاه الجاسر، ولأن الجاسر صحّح ما كتب فيه، أما بقية التراجم فقد تركت للقارئ الرجوع إلى كتاب الأعلام للزركلي وهو أشهر كتاب في تراجم القدماء والعصريين. . وبعد أن فرغت من ذلك أبنتُ عن عمل الجاسر أو منهجه في التحقيق.

الثالث: الكتب التي راجعها وأشرف على طبعها، وتكلّمت عن عمل الجاسر فيها.

هذا ولم أعرّف بالرسائل التي حققها الجاسر ونشرها في مجلة العرب، لأن ذلك يضخم الكتاب، ويبعد عن منهاج (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون)، وقد أفردت هذا الكتاب عن الجاسر مع أنه ليست لي صلة شخصية به، ولم ألتقه، فـالباحث الحريص على أمانـة العالم يسـتطيع أن يدرس عالماً معاصراً دون أن تقوم بينه وبين المُتَرجم له صلة شـخصية، وربما كانت هذه الدراسة أكثر موضوعية وصدقاً من دراسة تقوم على الاتصال الشخصي بالعالم المعاصر.

واستعذبت في سبيل ذلك كله العناء، وما أنفقت من وقت ومال، وصحبته ليالي وأياماً طوالاً سبرتُ فيها غوْره، وجلّيت قدره، وتعرفتُ أثره.

وقد صنفت هذا الكتاب لسلسلة (علماء ومفكرون معاصرون) التي يخرجها العالم الناشر محمد علي دولة صاحب دار القلم بدمشق بناء على تفاهم معه.

أسأل الله تعالى أن يكتب لي النجاح بقدر ما بذلت من سعي، وما أخلصت من نيَّة.

أحمد العلاونة
ليلة الإسراء والمعراج
٢٤/ ٩/ ١٤٢٠هـ
١/ ١/ ٢٠٠٠م

الفصل الأول

لمحات من حياته

لمحات من حياته

تمهيد:

الشيخ حمد الجاسر علاّمة الجزيرة العربية وجغرافيّها ومؤرخها ونسّابتها، ومن قمم المشتغلين بالتراث العربي، ومن قمم مَنْ قدَّموا لهذا التراث خدمات جليلة جمع الله فيه من صفات العلماء ما تفرق في خلق منهم، وهو عَلَم من أعلام تراثنا العربي النوادر، يلمس المدقق في سيرته إخلاصاً نادراً للعلم وصبراً عجيباً عليه، وحرصاً فائقاً على نشره. أحب العربية الحب الجم، ووقف نفسه على دراستها والاطلاع على مكنوناتها ونفائسها، والتنقيب عن مخطوطاتها النادرة، والحث على تحقيقها ونشرها، وكلما قدم عهد المخطوط ودثرت حروفه اشتدت رغبته في الاطلاع عليه، وكأنه يبحث في العصور الخالية عن سر دفين لا يجده إلا في المخطوطات البالية، فكان الحجة في أنساب العرب ومعرفه مؤلفاتها وكنوزها في خزائن الكتب المتفرقة، وكان المرجع في تحديد المواضع في جزيرة العرب وضبط أسمائها. ألّف وحقق وكتب فأكثر وأجاد وأطاب.

وإن من يتتبع سيرة الجاسر وأعماله، ويطالع مؤلفاته وتحقيقاته ومقالاته ـ وما أكثرها وأنفعها ـ لا يملك إلا أن يُكْبر هذه العبقرية الفذَّة التي اجتمع لها العلم الواسع والخلق الفضيل. وقف نفسه طوال حياته يقرأ ويكتب ويقوِّم ويهدي ـ على اعتلال صحته وضعف بصره ـ فهو مصاب بضعف البصر، فإحدى عينيه لا تبصر، والأخرى نظرها ضعيف، فلم تعقه العقبات ولم تثنه الصعاب والمصائب وسوء الصحة، بل زادته عزماً وتصميماً على السير قُدُماً حتى يبلغ هدفه المأمول. فكان يعمل في الحل والترحال وعلى المَنْشط والمكره وفي اليسر والعسر، بل إنه أبدع مع تزاحم العلل عليه، وتقسُّم نفسه مع الأوصاب والأوجاع. ما ذُكر الجاسر إلا تذكرت قول النبي ﷺ: «منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال»، فالجاسر من طلاب العلم الذين لا يشبعون منه.

إننا ونحن نجلو في هذا الكتاب من سيرة هذا العلاّمة النادر ونعرّف بمؤلفاته وتحقيقاته لنزداد معرفة به وبها، ولنقرّب سيرته إلى الأجيال الجديدة، لتجد فيها القدوة والأسوة الحسنة، فتنصرف إلى العلم - بعد أن هجره الناس هجراً غير جميل - تبذل في سبيله كل جهد مستطاع، وتتعلق بالفضائل والمثل فترنو بأبصارها إلى معالي الأمور.

نسبه وولادته ونشأته وتعلُّمه:

هو حمد بن محمد بن جابر آل جاسر، من الشبول، من الكتمة، من بني علي، من حَرْب.

ولد في قرية البرود في إقليم السرّ بنجد نحو عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م لأبٍ فلاح من أسرة قُدر عليها رزقُها، ونشأ عليل الجسم، ودفع المرض الذي كان يعتوره بين حين وحين بأهله إلى التشاؤم بمصيره، وحفْر أربعة قبور، فكانوا يحضرون القبر ويدفن فيه غيره.

توفيت أمه وهو في السابعة، وتعلَّم على الطريقتين: القديمة (الكتّاب) والجديدة (المعاهد العلمية)، فحفظ القرآن العظيم، وقرأ بعض المتون في الرياض، ثم عاد إلى بلدته بعد وفاة والده، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة وكان اسمه في أول إنشائه (المعهد الإسلامي السعودي)، وتخرَّج فيه سنة ١٣٥٣هـ بقسم التخصص في القضاء الشرعي.

شيوخه:

شيوخه كثيرون منهم:

١ - سعد بن عتيق: قاض من علماء نجد. ولد في مدينة الأفلاج سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م، ورحل إلى الهند بطلب العلم، وعاد إلى بلاده في فترة استيلاء ابن الرشيد على نجد، فانكمش في داره، ثم ولي القضاء والتدريس في

الرياض، وتوفي بها سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م[١].

٢ ـ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وهو من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقيه حنبلي. كان المفتي الأول للبلاد العربية السعودية. ولد في الرياض سنة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م وتوفي فيها سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م. تعلَّم بالرياض، وفقد بصره في الحادية عشرة من عمره، فتابع الدراسة إلى أن أتم حفظ القرآن وقرأ كثيراً من الكتب، وتصدَّر للتدريس، وعيِّن مفتياً للملكة، ثم رئيساً للقضاة، فرئيساً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورئيساً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وئيساً لتعليم البنات في المملكة ١٣٨٠هـ. وفي سنة ١٣٧٣ أنشأ (المكتبة السعودية العامة) في الرياض وجمع فيها نحو (٣٥٠٠٠) كتاب مطبوع و(١١٧) مخطوطاً[٢].

٣ ـ محمد عبد الرزاق حمزة: المدِّرس في الحرم المكي. ولد في قرية كفر عامر سنة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م بمحافظة القليوبية بمصر، وتعلّم بها وبالأزهر، سافر إلى مكة سنة ١٣٤٤ فتولَّى خطابة الحرم النبوي وإمامته، ونقل بعد سنتين إلى الحرم المكي مدرِّساً للحديث والتفسير، وتوفي بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م[٣].

وكان أثره في الجاسر كبيراً، فلم يكتف الجاسر بالتعلُّم عليه في المعهد، بل تعدَّاه إلى حضوره دروسه في الحرم المكي، ويجتمع به بعد العصر في حجرة الساعات التي كانت ملحقة بالحرم، وقد يستعير منه بعض الكتب أو الصحف، وقد يستشيره في بعض شؤونه الخاصة[٤].

٤ ـ محمد بهجة البيطار: علاَّمة دمشقي. ولد فيها سنة ١٣١١هـ ـ

---

(١) الأعلام: ٣/ ٨٤.
(٢) المرجع السابق: ٥/ ٣٠٦ـ٣٠٧.
(٣) الأعلام: ٦/ ٢٠٣.
(٤) المجلة العربية، آب ١٩٩٠م، ص٢٤.

١٨٩٤م وتتلمذ على كبار مشايخها، وتولَّى الخطابة والإمامة في بعض مساجد دمشق وعُيِّن مديراً للمعهد العلمي السعودي بمكة خمس سنوات، وعاد إلى دمشق مدرساً في ثانوياتها وفي كليتي الشريعة والآداب بجامعتها، وتوفي بدمشق سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م(١).

٥ ـ محمد بن عثمان الشاوي (١٣١٣ ـ ١٣٥٤): مدرس العلوم الدينية في المعهد العلمي السعودي وقاض وشاعر، ولد ونشأ في البكيرية، وعمي في الثالثة من عمره، ورحل إلى الرياض فأخذ عن علمائها، وتولى القضاء وعمره ٢٠ سنة، ثم عمل مدرساً في العهد العلمي مع التدريس في المسجد الحرام، ثم تولَّى القضاء(٢).

٥ ـ محمد علي البيز: ١٣١٠ ـ ١٣٩٢هـ ولد بشقراء، وحفظ القرآن الكريم، وانتقل إلى الرياض وتعلَّم فيها، وعمل في القضاء ١٣٤١ ـ ١٣٤٩، ثم عين مدرساً في المعهد العلمي السعودي ٤٩ ـ ٥١، ثم عين قاضياً بمحكمة جدة. فرئيساً للمحكمة الكبرى بالطائف حتى أحيل على التقاعد ١٣٨٧(٣).

٦ ـ عبد الله المطلق الفهيد: مدرس من علماء نجد. من قبيلة عنزه. مولده في مدينة عُنيزة (بالقصيم)، عاش بمكة وتولَّى التدريس بمدارسها الابتدائية، فألف لهذه الدروس مؤلفات قررت مديرية المعارف تدريسها في مدارسها، وهي أول كتب دراسية تؤلف ويُعمَّم تدريسها، ثم طبعت في مكة وانتشرت، ثم أُسند إليه التدريس في المعهد العلمي السعودي ١٣٤٩ ـ ١٣٥٩هـ وتوفي نحو ١٣٦٠هـ ـ نحو ١٩٤١م(٤).

٧ ـ محمد حلمي بن سعيد: خطَّاط المعارف، وهو من أشهر خطاطي

---

(١) ذيل الأعلام: ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨.
(٢) الأعلام: ٦/ ٢٦٣.
(٣) علماء نجد خلال ستة قرون: ٦/ ٣٢٦ ـ ٣٣٠.
(٤) الأعلام: ٤/ ١٩٣.

مكة المكرمة وكان يدرِّس في المعهد العلمي السعودي الخط والإملاء، وقد استفاد منه الشيخ حمد حتى أصبح يحسن أشهر أنواع الخطوط، ومن يرَ خط الجاسر يرَ علامات ذلك، وأضحى هذا الخطاط مديراً للمعهد.

٨ ـ سليمان بغدادي أباظة، وقد درَّس عليه الجاسر النحو في الحرم المكي بعد صلاة المغرب من كل يوم[١].

٩ ـ إبراهيم بن محمد الشُّورَى: عالم مصري ولد عام ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م، تخرج في مدرستي القضاء الشرعي ودار العلوم، واشتغل بالتدريس، وقدم إلى مكة عام ١٣٤٧هـ واستقر فيها حتى توفي عام ١٤٠٤هـ، فعمل مدرساً في المعهد العلمي السعودي حتى غدا مديراً له، ومديراً لشؤون الحج، وعضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومديراً لإذاعة المملكة بمكة المكرمة، وشارك في أعمال كثيرة. وكان حازماً في إدارته، ذا هيبة بين الطلبة[٢].

١٠ ـ محمد صادق بن ماجد الكردي: العالم بالنحو، قال الجاسر فيه: أحد أساتذتنا في تلك الفترة، فهو أقربهم إلى نفوسنا، إذ كان دائماً رضي النفس، مشرق الطلعة، بشوشاً في وجه كل واحد يقابله منا، وكان متمكناً من تبسيط ما يقدم لنا من دروس بدرجة يتسر لنا فهمها ومنها (النحو)[٣].

أعماله:

عقب تخرجه في المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٣هـ عُيِّن مدرساً فمديراً لمدرسة ينبع شمالي مكة المكرمة، ثم اختير قاضياً على كُرْهٍ منه، ولكنه آثر التعليم فأُجيب لرغبته بعد عام من تولِّيه القضاء، ورجع إلى المعارف معاوناً لمعتمدها (مديرها) في جدّة، ثم حضر إلى مصر وانتسب عاماً واحداً بكلية

---

(١) المجلة العربية، آب ١٩٩٠م، ص٢٥.

(٢) ذيل الأعلام ـ خ.

(٣) المجلة العربية، آب ١٩٩٠، ص٢٥.

آداب جامعة القاهرة (فؤاد الأول أوانداك)، ورجع لظروف طارئة، فعيِّن رئيساً لمراقبة التعليم في الظهران، ثم معتمداً للمعارف في نجد، وأُتيح له عقب ذلك أن يقوم على إدارة المعهد الديني في الرياض، ثم مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض حتى عام ١٣٧٦هـ.

اشتغاله في الصحافة:

أصدر في الرياض عام ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م مجلة اليمامة (شهرية)، وكان يطبعها في مصر ثم في مكة فلبنان، مما بعثه على التفكير جدياً بإنشاء مطبعة في الرياض، وكان من ذلك أن أنشأ (مطابع الرياض) عام ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، وهي أول مطبعة انشئت في الرياض. وفي العام التالي تحولت المجلة الشهرية إلى أسبوعية.

وفي عام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م نقل امتياز اليمامة عن الجاسر فظلت تصدر دون أن يكون له بها أي صلة، حتى إذا صدر نظام المؤسسات الصحفية أسَّس هو وآخرون (مؤسسة اليمامة)، وصدر عنها جريدة أسبوعية باسم (اليمامة) كان الجاسر رئيس تحريرها، وكان تاريخ صدور العدد الأول يوم الجمعة ٧ ذي القعدة ١٣٨٣هـ ـ ٢٠ آذار ١٩٦٢م.

وعندما تأسست صحيفة الرياض سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م رأس تحريرها، غير أن صلة الجاسر بمؤسسة اليمامة الصحفية لم تطل، فقد ترك العمل في تلك المؤسسة عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، وأنشأ لنفسه (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)، واتخذ لها مركزاً بمدينة الرياض ومكتباً ببيروت (لتسهيل عملية الطبع)، وكان أول عمل قامت به الدار إصدار مجلة (العرب) شهرية، ثم أصبحت تصدر في السنة ستة أعداد عنها، (٨٦٤) صفحة متسلسلة الصفحات، وتعدُّ جمهرة معارف شاملة عن الجزيرة العربية، خاصة فيما له صلة بتاريخ العرب وآدابهم وجغرافية بلادهم وتراثهم الفكري، وكان لها شأن علمي كبيرة. صدر الجزء الأول منها ببيروت في رجب ١٣٨٦هـ ـ تشرين الأول

١٩٦٦م ومازالت تصدر[١] ولما قامت الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥م نقل المجلة إلى الرياض، ويمكن أن يعد عمل الجاسر هذا من ضروب (الخوارق) لما يقتضي من جهد متصل وأتعاب كثيرة، فالجاسر يحرر أكثر مواد المجلة، وهو مع ذلك يؤلف ويحقق ويشرف على طبع مؤلفات غيره، ويكتب في الصحف والمجلات.

وقد أُنشئت هذه الدار للأهداف التالية:

١ ـ نشر ـ ما تستطيع نشره ـ ممَّا يتعلق ببلاد العرب ولا سيما السعودية من مؤلفات، ممَّا قد يكشف عن بعض النواحي الخفية من تاريخ تلك البلاد أو جغرافيتها أو أدبها أو تراثها الفكري.

٢ ـ ترجمة بعض المؤلفات التي لها صلة بالجزيرة العربية، ممَّا قد يلقي ضوءاً على جانب مجهول يتعلق بها من رحلات أو دراسات.

٣ ـ الإسهام بقدر الإمكان بنشر مؤلفات أبناء البلاد، ممّا يضيف إلى أدبنا أو ثقافتنا جديداً، بالإضافة إلى ما تقدم الدار من إشراف على طبع ما يراد طبعه وفق رغبة صاحبه، مما يتفق مع أهداف الدار من كافة المطبوعات.

ومن أجلِّ ما قامت به الدار: إصدار معجم جغرافي لمواضع الجزيرة العربية (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) معجم مطول، تعرض بعض مؤلفيه لتحقيق ما ورد فيها من الشعر القديم، وقد صدر منه:

١ ـ (مقاطعة جازان) لمحمد بن أحمد العقيلي (٤٨٦) صفحة.

٢ ـ (بلاد غامد وزهران) لعلي بن صالح الزهراني (٣١٦) صفحة.

٣ ـ (عالية نجد) لسعد بن جنيدل (١٣٩٠) صفحة في ثلاثة أجزاء.

---

(١) صدر منها حتى شهري الجمادين ١٤٢٠هـ أيلول وتشرين الأول ١٩٩٩م (٣٤) مجلداً مع فهارسها الشاملة في (٣٢٤٧٤) صفحة، وقد أكملت سنتها الرابعة والثلاثين.

٤ ـ (بلاد القصيم) لمحمد بن ناصر العبودي (١٣١٢) صفحة في ثلاثة أجزاء.

٥ ـ (شمال المملكة) لحمد الجاسر (١٣٦٨) صفحة في ثلاثة أجزاء.

٦ ـ (المنطقة الشرقية) لحمد الجاسر (١٩٩٨) صفحة في أربعة أجزاء.

٧ ـ (معجم اليمامة) لعبد الله بن خميس (١٢٦٢) صفحة في جزءين.

٨ ـ (بلاد رجال الحجر) لعمر العَمْري (٢١٨) صفحة.

أسرته:

له ستة أولاد: اثنان من الذكور، وأربعة من الإناث، وكلهم يتذوقون الأدب، ولكنهم لا يمارسون حرفته. فأما الولدان فهما: (محمد) ونال الإجازة في العلوم السياسية، وقد توفي بحادث طائرة عام ١٩٧٥. و(مَعْن) ونال الإجازة في الدراسة الصناعية.

وأما البنات فهن: (مي) نالت الإجازة في علم الأحياء، و(هند) نالت الإجازة في علم الصيدلة، و(سلوى) نالت (الماجستير) في علم الحاسب الآلي. و(منى) نالت الإجازة في الهندسة المعمارية.

إقامته في بيروت:

أقام في بيروت منذ عام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م حتى اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م. وسبب إقامته فيها أن يوسف ياسين رئيس الشعبة السياسية كان يقوم ببعث التقارير للملك سعود عن سير الأمور، وكان الملك مسافراً لعلاج عينيه في (إسبانية)، وكان في أحد تقاريره ما معناه بأن الصحف جميعها سائرة على ما يرام سوى جريدة اليمامة، وبعد أن نال منها ومن صاحبها قال: ينبغي أن يتخذ من الإجراءات ما يوقف صاحبها عن حدّه لتسير الجريدة على النهج الذي ترضاه الحكومة، فأمر الملك سعود بمصادرة اليمامة وبإدخال الجاسر السجن وتأديبه في الرياض فترة، ثم حجز إقامته في قريته

البرود. وكان الجاسر وقت ذاك في بيروت، فلما علم بالأمر قرر الإقامة فيها، وكانت إقامته فيها من أهنأ حياته وأسعدها وأحفلها بالعمل الدؤوب المثمر[1].

خزانة كتبه:

ضمت آلاف المطبوعات ومئات المخطوطات، وفيها من النادر الشيء الكثير، ومما يؤسف له أن خزانة كتبه في بيروت قد سُرق منها الشيء الكثير من كتبه وأوراقه وخرائطه، ومنها بعض الكتب التي قدَّمها للطبع أو جمعها لتطبع، ولم يقتصر تأثيرها السيئ على فقدان ما قدَّمه للطبع وفقدان غيره مما جمعه، بل أحدثت في نفسه من التأثر ما صرفه عن الموضوعات التي بدأ بكتابتها، وقد تزامن ذلك ـ تقريباً ـ مع وفاة ابنه محمد في حادث طائرة، واحتسب ذلك كله عند ربه، ولا غرو في ذلك فهو مؤمن صبور.

ويقول الزركلي لأستاذنا أكرم زعيتر رحمهما الله رحمة واسعة سابغة: «لو أُحرق الأعلام لرميت بنفسي في البحر أسفاً، وصديقي عالم الجزيرة الشيخ حمد الجاسر قد سرقت أوراقه وخرائطه في اللعازارية، فلا عجب إن كان في هم مقيم»[2].

شعره ونثره:

للجاسر شعر أكثره نَظْم وفي بعضه جَوْدَة، زهد في نشره، وقد اطلعت على بعضه واخترت قصيدة له في رثاء شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م نشرها سعد بن عبد العزيز الرويشد بمجلة الدعوة بالرياض العدد (١٤٤٨) الصادرة في ٢٨ محرم ١٤١٥هـ ـ ٧يوليو ١٩٩٤م ص(٤٦ ـ ٤٧) سأثبتها بعد قليل.

وكتب إليَّ أستاذي اللغوي صبحي البصام من إنكلترة في ١٥/ ٧/ ١٩٩١م

---

(١) انظر: في الوطن العربي، ص٢١٥ ـ ٢١٧.
(٢) النهضة الإسلامية في سير أعلام المعاصرين: ٣/ ١٣١.

يقول: (حمد الجاسر شاعر مجيد يدلني على ذلك قصيدة كافية ألقاها ببغداد، كانت من غرر الشعر بذَّ فيها الشعراء جميعاً، ثم تلتها قصيدة للجواهري) وكتبت للجاسر أسأله عن شعره فأجابني برسالة مؤرخة في ٢٤/ ٤/ ١٤١٢هـ يقول فيها: أما وصفي بالشاعرية فهذا غير صحيح، لست شاعراً وكنت نظّاماً في أول الأمر، ولإدراكي بأنني لم أخلق شاعراً تركت النظم.

وكتب إليَّ بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٤٢٠هـ يقول: وأخوك ليس شاعراً، وإنما كان يتعاطى النظم في شبابه غَيْرة من لِدَاته الذين يرى أسماءهم منشورة في الصحف، وهو نظم ساقط أخجل الآن حين أراه منشوراً في بعض الصحف لتفاهته، أقول هذا عن صدق وعقيدة.

وذكر مثل ذلك في مجلة العرب س(١٨) ص(٧٨٠ـ ٧٨١) وفي كتابه في الوطن العربي ص(٤٥) ويقول في مقدمة ديوان الأنغام المضيئة لمحمد بن أحمد العقيلي: «ويأتي الحديث على شعر العقيلي هذا الذي يرى القارئ طائفة منه بين يديه وقديماً قيل: (لا يحل السحر إلا ساحر)، وعلى هذا فلعله يصح القول: (لا يفهم الشعر إلا شاعر)، ولست شاعراً لأتحدث عن شعر الأستاذ العقيلي، ولست بحاجة إلى أن أدخل تحت طائلة قول المتنبي: (وعداوة الشعراء بئس المقتنى. . .).

ولما كنت أنا أيضاً لست شاعراً فأترك الحكم على شعره لأهل الصنعة بعد أن أُورد قصيدته في رثاء الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهذا نصها:

مُصَابٌ ـ وأَيْم الْحَقِّ ـ أَشْجَى وأَفْزَعَا ... وَأَوْقَدَ أحْزانَ الفُؤادِ فَأَوْجَعَا
أُصِيبَ بهِ الدِّينُ الحَنيفُ فأَوْشَكَتْ ... معَاهِدُ أَهْلِ العِلْمِ أنْ تتَّصَدَّعَا
بِفَقْدِ إمامٍ كانَ يَعْمُرُ رَبْعَهَا ... فأَصْبَحَ مُغْبَرَّ الجَوانِبِ بَلْقَعا[1]
مَضَى نَحْوَ دَارِ الخُلْدِ خيْرُ شُيُوخِنا ... وغَادَرَ دُنْيَاهُ كَرِيماً مُوَدَّعا

---

(١) بلقع: خالٍ.

قَفَـا إِثْـرَ أَعْـلامِ هُـدَاةٍ أئمَّـةٍ هُمُ أَوْضَحُوْا التَّوْحِيدَ نَهْجا ومَشْرعاً
وصَانُوا حِمَى هَدْيِ (المُجَدِّدِ) بَعْدَهُ فأَعْلَوْا لَهُم قدْرا ـ مِنَ البَدْرِ ـ أَرْفعا(١)
وقَدْ بَذْلُوا في نُصْرَةِ الحقِّ جَهْدَهُم ولَمْ يَتْرُكُوا فيهِ لذِي الغَدْرِ مَطْمَعَا
بهم يُقْتَدى في الذَّوْدِ عَنْ شَرْعِ أحْمَدٍ ويُحْمَى ذِمار الحقِّ مِنْ أنْ يُضَيَّعا(٢)

* * *

فَجَـدَّ لِيُعْلـي مَـا أَشَـادُوْا وَجَـدَّدُوا وَيَعْمُـرُ مِـن بُنْيـانِـهِ مـا تَصَـدَّعَـا
وسَـارَ حَمِيـدَ الفِعْـلِ أحْسـنَ سِيـرةٍ عَلَى مَنْهَجِ الأشياخِ سَمْتاً ومنْزعَا
وعِلْمـاً وأخْـلاقـاً وصِـدْق طَـويَّـةٍ فَللَّـهِ مـا أَتْقـاهُ شَيْخـاً وأَوْرَعَـا
وأَقْوَى لَدَى الجُلَّى دِفاعاً وحُجَّةً وأنْطق بالحَقِّ الصُّرَاحِ وأصْدَعَا(٣)
فـأَحْيـا رُبُـوع العِلْـمِ بَعْـدَ انْـدِراسِـهِ فأَصبَحَ مُخْضَرَّ الجَوانِب مُمرعَا(٤)

* * *

لَقَـدْ حَـلَّ بـالإسْـلاَمِ رُزْءُ لَـوَ أنَّـهُ أَصَابَ الرَّواسي الشَّامِخْاتِ لَزَعْزعَا
به انْهَدَّ صَرْحُ العِلم وانثَلَّ عَرْشُهُ وعَـمَّ ذَوِيـهِ مـا أمَـضَّ فـأَفْـزَعَـا
بِفَقْـدِ إمـامِ الأَتْقيـاءِ وشَيْخِهِـم ومَنْ كانَ لِلْفَتْوَى ولِلْعِلْم مَرْجعا
خليْفَـةُ مَـنْ أحْيـا بِـهِ اللهُ دِيْنَـهُ وأعْلَـى مَنَـارَ الحـقِّ لَمَّا تَضَعْضَعَـا
أَشَـادَ عَلـى التَّـوْحِيـدِ أُسَّ بِنَـائِـهِ وَصَـانَ حِمَـاهُ أنْ يُنَـالَ فَيَخْضَعَـا
بِمُحْكَـمِ نَـصٍّ مِـنْ كِتـابٍ مُفَصَّـلٍ وسُنَّـةِ مَـنْ حـاز الفَضـائِـلَ أَجْمَعَـا
وَمَـا اختَـارَهُ خَيْـرُ القُـرُونِ فـإنَّهُـمْ هُمُ القُدْوَةُ الحُسْنى لِمَنْ سارَ أَوْدَعَا
عَلى ذَاكَ أَرْسَى الشَّيخُ أرْكَانَ دَعوةٍ أَبَـانَ بِهَـا الـدِّيْـنَ الحَنِيـفَ فَـأقْنَعَـا

---

(١) المجدد الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ الذي جدد الدعوة إلى التوحيد.
(٢) الذمار: ما يجب أن يُحْمَى.
(٣) الجُلَّى: الأمر العظيم.
(٤) المُمْرِعُ: المخصب.

بِـأَصْـدَقِ بُـرْهَـانٍ وأَوْضَـح حُجَّـةٍ فَـأَصْبَـحَ مِنُهَـاجُ الهِـدَايَـةِ مَهْيَعَـا

* * *

وللهِ مِـنْ خَطْـبٍ أقـضَّ مَضَـاجِعـا وَحَـرَّكَ أَشْجَـانـاً، وأَسْبَـلَ أدْمُعَـا
عَشَّيـة قِيْـلَ (الشَّيْـخُ) أَخْلَـى مَكَـانَـهُ وصَـارَ إلـى دَارِ البَقَـاءِ مُشَيَّعَـا
وَغُوْدِرَ في قَبرٍ حَوَى البرَّ والتُّقَى بطيْـبِ الثَّنـا والـذِّكْـرِ مِنْـهُ تَضَـرَّعَـا
وَجَاوَرَ صُحْباً كَانَ يرجُوْ جِوارَهُمْ لِيَسْعَـدَ إنْ دَاعِـي القِيـامـة أَسْمَعَـا
فَيَحْظَى بِمَا نَالُوا مِنَ الفوْزِ والرِّضَا ومَا خَابَ مَنْ يَرْجُو الإلـٰهَ بِما سَعَى

* * *

لَقَدْ جَلَّ هذا الخَطْبُ واشتَدَّ وقعُهُ وعَـمَّ جَميْـعَ المُسلِمِيـنَ فـأَفـزعـا
وحَـلَّ بِهِـمْ مِنْـهُ ذُهُـولٌ وحَيْـرةٌ فَلَسْـتَ تَـرَى إلاَّ حَـزينـا مُـرَوَّعـا
ولِكنَّـهُ حُكْـمُ الإلـٰـهِ بِخَلقِـهِ سَيَجْـرِيْ عَلَيْهِـمْ كَـارِهِيـنَ وطُـوَّعـا
وخَيْرَ الوَرَى مَنْ قَابَلَ الأمْرِ بالرِّضَا لِيَبْلُـغَ فـي دَارِ الكَـرَامَـةِ مـا ادَّعَـى(١)

* * *

عَزَاءً لِنَجْدٍ شَمْسُ عِلْمٍ قدِ اخْتَفَتْ فَمَـا إنْ يُـرجَّـى أنْ تَعُـودَ لِتَطْلُعـا
وَفِـي خَلَـفِ الشَّيْـخِ نُخْبَـةٌ يَعِـزُّ عَلَيْهِـمْ أنْ يُضَيَّعَـا

* * *

رَعَى اللهُ مَنْ في (العَوْدِ) أصبحَ مُلْحَداً وبَـوَّأَهُ فـي جَنَّـة الخُلْـدِ مَـرْبَعـا(٢)

* * *

---

(١) ادَّعَى: تَمَنَّى، وفي القرآن الكريم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١ ـ ٣٢].
(٢) المَرْبَعُ: المنزل. و(العَوْدُ) مقبرة مدينة الرياض، باسم إحدى محلاتها القديمة.

أما نثره فكان السهل القريب المتناول، تقرأ ما كتب فتحس أنه قريب منك، يقص عليك بأسلوب سلس لا تصنُّع فيه ولا تكلُّف، فقد كانت غايته فيما يكتب التعليم والإفهام فاختار العبارة الواضحة السهلة.

أما مشاهداته ورحلاته فقد دوَّنها بأسلوب شائق يستهوي القارئ فتلذ له متابعته، ومن هنا برزت جوانب الإمتاع فيه، ولعل من أظهرها أن القارئ يسترسل في القراءة دون أن يحس بضجر أو ملل، فهو يعرض مشاهد ورحلات يتلذذ المرء بمعرفة الكثير عنها، يضاف إلى هذا أسلوبه السهل الواضح.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي:

وإذا كانت كتب الجغرافية الآن في المدارس والكليات تحمل بعض المنفِّرات من قراءتها لأسلوبها العلمي الجاف، الذي يقتصر على سرد التضاريس وأحوال المناخ ومساحة الأرض، دون بسط تاريخي شافٍ لما يتحدث عنه الباحث، فإن الأستاذ حمد قد رجع في حديثه الجغرافي إلى كتب الأدب كما رجع إلى كتب تقويم البلدان، فجاء حديثه عن الأمكنة مؤيّداً بالشواهد الشعرية والأحداث التاريخية، وقارئه سعيد جدّ السعادة حين يجد أسلوب التدوين الجغرافي قد انتقل من حال إلى حال[١].

عنايته بالجزيرة العربية:

الجزيرة العربية مَهْد العرب، ومَهْد الشعراء في العصور القديمة، وفيها نشأ العرب، ومنها شعّ الإسلام وانطلقت الفتوحات الإسلامية التي ملأت الأرض عدلاً ونوراً بعد أن ملئت ظلماً وجَوْراً، فحفلت الجزيرة بحوادث وأخبار قام عليها أساس الأمة العربية، ومن هنا جاءتْ عناية الجاسر بها.

فمعرفة المواضع يعين على فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين: ٣/ ١١٧.

وما ورد في آثار الصحابة رضوان الله عليهم ومَنْ بعدهم مما له صلة بهذا النوع، وما شُحن به الشعر العربي القديم من مرابع الشعراء ومراتع لهوهم.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه أمماً أهلكها، وسمّى مواضع من بلادها كالحِجْر والأحقاف والرس والأيكة، وذكر أمكنة شعائر الحج كالصفا والمروة وعرفات، وأشار إلى مواقع لها صلة بتاريخ الإسلام: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة: ٢٥].

ثم جاءت أحاديث النبي ﷺ بأسماء مواضع كحديث قِلال هَجَر، وبتحديد مواقيت الحج والعمرة المكانية، وعُني العلماء بتعيين أمكنة حدود الحرمين الشريفين.

وهناك مواضع الغزوات النبوية، ومواقع السرايا، وأمكنة الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم.

ومن هذا القبيل ما ورد في الشعر الجاهلي وأشعار الإسلاميين ومخضرمي الدولتين من أسماء المواضع، إذ فَهْم النصوص متوقف على فهم اللغة العربية، وتلك الأشعار هي مادة اللغة، وفهمها لا يتم إلا بمعرفة تلك المواضع معرفة تامة.

ومن هنا اتجه علماء المسلمين أول ما اتجهوا للدراسات الجغرافية لتحقيق تلك الغاية أولاً، ولاطلاع الإنسان على ملكوت الله وعظيم مخلوقاته للعظة والعبرة.

وأوسع معجم جغرافي عربي بين أيدينا الآن هو (معجم البلدان) لياقوت الحموي، غير أن كتابه ـ على ما يقول الجاسر ـ لا يصح أن يتخذ أساساً في تحديد مواقع الجزيرة، ولكنه صالح للاقتباس وللاستفادة وللرجوع إليه للاستئناس بما فيه من نقول متعددة عن كتب ذات قيمة كبيرة أصبح كثير منها مفقوداً.

ولا يضير الحموي وصف أصوله بالتحريف والتصحيف، فقد اعترف بذلك، ولا يضيره عندما يحدِّد الموضع أن يحدِّده بأقوال مختلفة متضاربة، ويضيفه إلى قبائل متباعدة، فمن شأن القبائل أن تستعمل الاسم الواحد بعدة مسمّيات، ومن شأن الرواة أن يتزيدوا، ومن شأن التصحيف أن يكون عاملاً قوياً في إعجام الاسم وإبهامه، خاصة في كتب وصفها ياقوت نفسه بأنها غير محرَّرة ولا صحيحة.

وقبل ياقوت ألَّف أبو عبيد البكري الأندلسي كتابه العظيم (معجم ما استعجم) حاوياً كثيراً من النصوص القديمة من شعر ونثر، غير أن حظ هذا الكتاب من التصحيف والتحريف كان بدرجة سيئة حقاً، ولا بِدْع فالرجل يعيش بعيداً عن جزيرة العرب، وينقل عن مؤلفات غير محررة ولا متقنة، وكتابه وإن حوى نصوصاً قيمة ونقولاً واسعة عن مؤلفات مفقودة إلا أنه يعوزه التحقيق والضبط الصحيح.

ونخلص إلى القول بأن الجزيرة العربية لا تزال بكْراً من هذه الناحية، وأنها بحاجة إلى دراسة لا يفي بها جهد الفرد مهما بلغ من قوة.

أما الجاسر فقد قام بجولات طويلة قطع فيها آلاف الأميال في شرقي الجزيرة وفي وسطها وفي شماليها وفي غربيها وفي جنوبيها، خرج من ذلك بملاحظات منها:

١ ـ كثير من معالم الجزيرة لا يزال مجهولاً، ومنها ما يقوِّم عليه الشعر العربي فهماً ودراسة محققة، فهناك آلاف المواضع لم يرد لها ذكر فيما بين أيدينا من كتب الأمكنة، وما ذاك إلا لأن الرواة لم ينقلوا شيئاً عنها وأن المؤلفين لم يصلوها.

٢ ـ يضطرب تحديد المتقدِّمين لمواضع وردت في الشعر القديم اضطراباً

يقف منه الباحث موقف الحيرة بسبب تضارب الأقوال، ولـو تمكن من التنقل الواسع في الجزيرة لخرج من هذه الحيرة، واستطاع أن يحدِّد الموقع تحديداً صحيحاً.

٣ ـ عني المتقدمـون بإيراد أقوال مختلفـة متضاربـة في تحديد موقع ما فهنـاك من يقول: إنه في بلاد بني فلان، وآخر يخالف هذا القـول، وثالث يبعد الشقة، ولم يلاحظ كثير من المتقدمين من المؤلفين أنَّ الاسم الواحد قد يطلق على مسمَّيات عديدة، ولم يدرك بعضهم أن القبائل من طبيعتها نقل كثير من أسماء بلادها المحبوبة إلى أماكن أخرى، ومن ثَمَّ نجد الخطأ الفظيع في تحديد المواضع.

٤ ـ هناك أسماء مواضع متشابهة الاسم، ومن عادة العرب تسمية الموضع بصفة قريبة من طبيعته، ومن هنا نشأ إطلاق الاسم الواحد على مسميات مختلفة تتصف بصفة واحدة، وإن كانت المواقع متباعدة، وهذا مما لم يلحظه كثير من المؤلفين.

٥ ـ هناك أسماء كثيرة أوردها المتقدِّمون محرَّفة مصحَّفة، وعذرهم في ذلـك أنهم ينقلون عن كتب أُلِّفت في أول العهد الذي بـدأ فيه التأليف العربي، ومؤلفـو ذلك العهد لا يعنـون كثيراً بضبط الاسـم، ومن هنـا نشـأ التحريـف والتصحيف، وعن هذين نشأ الغلط مما لم يدركه المؤلفون المتأخرون، يضاف إلى كل ذلك بعد مؤلفي معجمات الأمكنة عن جزيرة العرب.

هذه قـد تكون أهم الأسبـاب التي أوقعت الحَيْـرة في تحديد كثيـر من الأمكنة، وهي حَيْرة لا يمكن التخلُّص منها إلا بزيارة المواضع ومشاهدتها عن كثب وتحديدها بعد تلك المشاهدة، وهما أمران لم يتسَّنَّ للمتقدِّمين القيـام بهما، وليس من السهل لأي فرد مهما بلغ قدره القيـام بذلـك، إنما هو مما يجب أن تتكاتـف على القيـام به جماعات كثيرة، فالجزيـرة بلاد فسيحة متبـاعدة الأطراف، واسعة الأرجاء.

والخلاصة أن جزيرة العرب في مختلف أرجائها لم تزل بحاجة إلى الدراسة إذا أردنا أن نفهم الشعر العربي القديم فهماً صحيحاً.

عنايته بالأنساب:

علم الأنساب من العلوم العربية البحتة، وله قوة ارتباط بتراث الأمة، يحتاجه كل باحث في أي علم من العلوم من تفسير وحديث وفقه ولغة وأدب وتاريخ، فغير العرب من الأمم لا تُعْنَى به، ولا فائدة منه في نظرها، إذ المرء بعلمه لا بنسبه، وفضله بعقله وطيب أخلاقه لا بحسبه، وبهذا جاء الدين الإسلامي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

على أن من أفاضل العلماء من لمح من معنى هذه الآية العناية بهذا العلم كابن حزم، فقد قال في مقدمة كتابه (جمهرة أنساب العرب): (فقد جعل تعارف الناس بأنسابهم غَرضاً له ـ تعالى ـ في خلقه إيانا شعوباً وقبائل، فوجب بذلك أن علم الأنساب علم جليل رفيع إذ به يكون التعارف).

وشدّد النكير على من قال: إن علم الأنساب علم لا ينفع، وجهالة لا تضر، وسار على هذا المنوال جُلُّ من ألّف في الأنساب.

وعلم الأنساب من تراثنا القديم، فهو جزء من تاريخ الأمة العربية، ينظر إليه كما ينظر إلى ذلك التاريخ، لا أن تبنى عليه مقوِّمات الحياة الاجتماعية في هذا العصر، أو يعدُّ من الأمور التي يميز بها بين الناس تمييز تفاضل، بصرف النظر عن أسباب التفاضل الصحيحة وهي الأعمال.

لقد عني الجاسر بالأنساب عناية حملته على مطالعة كثير من مؤلفاتها مطالعة بحث ودراسة، وجمع كثيراً من تلك الكتب، ونسخ ما لم يستطع اقتناءه منها، وألف في هذا الموضوع الذي أدرك اهتمام الناس به في جزيرة العرب. وللحياة الاجتماعية أثر كبير في ذلك فلا يزال جلُّ سكان قلب الجزيرة تقوم

حياتهم الاجتماعية على التكافؤ في النسب، ويشدِّدون في هذا الأمر تشديداً كثيراً، ما سبب مشكلات وأموراً صعبة[١].

وانتهى الجاسر في دراسته لأصول القبائل العربية إلى نتيجة لا يرضى بها كل واحد، وموجزها أن كثيراً من الصلات بين فروع القبائل وأصولها لا يقوم على أساس البُنُوة التي قد يحصل بها الحفاظ على نقاء النسب، بل قد تقوم على اعتبارات أخرى كالحِلْف والولاء والتبنِّي، بل حتى على الجوار في المنزل وعلى الاتفاق بين الأسماء، ومثل هذا لا يقتصر على صلة الفروع بالأصول بل يمتد إلى البطون والأفخاذ، وحتى الأبناء فقد يحصل التبنِّي في عهدنا الحاضر ولكن بغير الطريقة المعروفة عند المتقدمين، حيث ينشأ المرء من صغره في بيت بعض أقاربه فينسب إلى أولئك الأقارب دون أبيه.

رحلاته:

رحلاته كثيرة، وهي متنوعة الأهداف ومختلفة الدواعي، فهي إما لبلاد عربية أو إسلامية أو أجنبية بقصد الاطلاع على المخطوطات، يصف ما يتخيره منها، ويصور ما يستطيع تصويره. أو رحلات للعلاج، وهو في رحلاته للعلاج يندر أن يُظْهِر أنه أتى للعلاج، فقد كانت المخطوطات تنسيه نفسه وتستنفد صحته وماله، أو رحلات داخل الجزيرة العربية ليحقق مواضع جغرافية تاريخية أو أصول قبائل[٢].

والجاسر يصل الليل بالنهار، ويقطع الفيافي والقفار، ويرحل إلى أصقاع الأرض لمعرفة موضع أو أصل قبيلة أو اطِّلاعٍ على مخطوطة، أو لمعرفة فهم

---

(١) انظر كلامه في مقدمة تحقيقه تذكرة الألباب. ومجلة العرب س٣٠، ص١٤٥ ـ ١٥٠.

(٢) انظر كتبه: (رحلات حمد الجاسر)، و(المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر، شمال المملكة، المنطقة الشرقية)، و(في شمال غرب الجزيرة)، و(معجم قبائل المملكة).

بعض كلمات في مخطوطة استغلق عليه فهمها، كالذي تراه في سفره إلى صنعاء ولقائه علماء اليمن لمعرفة الكلمات اليمنية القديمة التي أوردها الهمداني في كتابه (الجوهرتين) وينفق على رحلاته هذه من حرّ ماله.

ولعل صنيعه هذا يذكرنا بما كان يفعله سلفنا الصالح الذين كانوا يشدُّون الرحال، ويطوفون الفيافي والقفار من أجل التحقُّق من حديث نبوي، أوشاهد لغوي، أو خدمة علم من العلوم الأخرى.

حبه للعلم وخدمته أهله:

أقام الجاسر على أنسه بالعلم منذ شبابه حتى شيخوخته المباركة، لا يشغله عنه شيء، ساقطة عنه كلفه، وجعله همه ومبتغاه، لا يعاقه عنه ولد ولايعارضه فيه متجر ولايسوم به مطلباً. فعل هذا مع ضعف بصره، وقد أوصاه الأطباء منذ زمن بعيد بألّا يرهق عينيه بكثرة القراءة، فكيف بقراءة المخطوطات والتمحيص فيها؟!.

تقلد أعلى المناصب العلمية، وأصاب ثروة عظيمة أنفقها في العلم وفي خدمة أهله، وأصدر مجلته العرب، وحسب القارئ أن يعلم أن الكتب التي ألّفها وحقَّقها قد وزّعها على أهل العلم وعلى المراكز العلمية دون مقابل، ولم يبع منها إلا القليل القليل، وما تبقَّى منها مكدّس في المخازن، وكذلك الأمر مجلته العرب. فلم يبغِ مالاً ولا جاهاً، وهكذا سارت حياته بين عزوف عن الدنيا وإقبال على العلم، ورغبة في المعرفة واستكثار من الخير والبر.

أما خدمته أهل العلم فإن المرء ليتحار من أين يبدأ حينما يتحدث عن ذلك، ومما ينبغي الإشارة إليه ذلك الجهد السخي الذي قام به الجاسر من جمع صور المخطوطات النادرة التي ركب إليها الصعب والذلول، وجمعها من مظانها شرقاً وغرباً، ثم عرَّف بها ودلّ الناس عليها في مجلته العظيمة (العرب)، ثم قدّمها للعلماء طيبةً بذلك نفسُه، زاكياً بذلك علمُه. ومما قدّمه من هذه النوادر للعلماء ـ وهو كثير ـ مخطوطة جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن

بكار الذي أخرج منه الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م. ولم يقتصر فضل الشيخ حمد على الهدية والحث، بل تجاوز ذلك إلى بذل كل ما تطيقه أريحية عالم يذكر حق العلم وينسى حق نفسه.

ومما عرّف به من نوادر المخطوطات مخطوطة منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير، التي اتجه إلى تحقيقها الدكتور محمود الطناحي.

ومن باب حبه للعلم وحديثه عنه عنايته بأصدقائه وتلاميذه من المشتغلين بالتراث، وكان وفياً لهم كريماً معهم، وفي فكره دائماً أخبارهم العلمية وما يحتاجون إليه من المخطوطات والكتب. وكان في تجواله للبحث عن المخطوطات يصوِّر ما يحتاجه ذلك الصديق أو أحد التلاميذ دون أن يكون قد طلبه منه، ويهديه المصوَّرة دون مقابل أو كان - على أقل تقدير - يكتب إلى الصديق أو التلميذ بفائدة وجدها، وهو يعلم أنها تهمه أو يبعث إليه بخبر عن نسخة عثر عليها أو ملاحظة يفيد منها كوصف مخطوطة كتاب (الأنس الجليل) للعليمي، لعلمه بأن الدكتور ناصر الدين الأسد يعني بتحقيق هذا الكتاب[١]. وكتقديمه مخطوطة (الجليس الصالح) للسيد أحمد صقر، وكان قد سأله هذا عمّا يعرف عن هذا الكتاب[٢]. وتقديمه مخطوطة (كنز الأسماء)، لقطب الدين النهروالي المكي للشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الذي سأله عنه، وتقديمه مخطوطة كتاب التقفية للبندنيجي للدكتور خليل العطية. بعد أن كتب الجاسر مقالاً في مجلة العرب س١، ص٥٧٧ و١١٥٦ تحدث فيه عن كتاب التقفية للبندنيجي ووصف نسخته المخطوطة، وأشار إلى أنه سبق الجوهري إلى طريقة ترتيب الكلمات على القوافي، فكتب إليه الدكتور خليل العطية طالباً إعارة نسخته المصورة ليتولى تحقيق الكتاب، فأرسل بهما إليه[٣].

ومما قدَّمه لي كتاب معجم المطبوعات العربية (المملكة العربية

---

(١) انظر رحلات حمد الجاسر، ص٢٦.

(٢) انظر رحلات حمد الجاسر، ص٩٥.

(٣) انظر مجلة العرب، س١٢ : ٦٤٠.

السعودية) للدكتور علي جواد الطاهر الذي نشرته دار اليمامة في أربعة مجلدات ـ ولم أطلبه ـ قدَّمه لي عندما علم أني أقوم بتأليف كتاب (ذيل الأعلام) ليكون تتمة لأعلام الزركلي.

ويذهب كرمه العلمي ورغبته الجامحة في خدمة العلم إلى أبعد من هذا فيطَّلع في مكتبة أياصوفية بإستانبول على مخطوطة (العلل ومعرفة الرجال) للإمام أحمد بن حنبل، وكان الجزء الأول منه قد صدر في أنقرة محققاً عن هذه النسخة الوحيدة، ولاحظ أن صعوبة قراءتها قد أوقع المحققين في كثير من التحريف، ويعلم أن من هذا الكتاب قطعة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، فيبعث إلى صديقه هناك الأستاذ أحمد راتب النفاخ ليصورها ويرسلها إليه، ويقوم الجاسر بدوره فيدفعها إلى المحققين ليستعينا بها في تقويم معوج الجزء المطبوع[1].

ومن باب حبه للعلم أيضاً تفريغ بعض وقته أو كثيره لمراجعة بعض ما كتبه أهل العلم بطلب منهم، كما فعل مع الزركلي الذي قرأ عليه كثيراً من فصول كتابه (شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز)، وكان ذلك في مكتب الجاسر ببيروت، ولما رأى الجاسر أن الزركلي تأثر ذات يوم من أحد الزوار وقد شغل وقتهما بالكلام، رجاه الجاسر بأن يبقى في منزله، فكان الجاسر يحضر إلى منزله فيقرأ الزركلي عليه كل يوم ساعة ثم يمضي إلى بيته[2].

كما راجع قسماً من مواد كتاب الروض المعطار للحميري الذي حققه الدكتور إحسان عباس، وزوده بتعليقاته الكثيرة النافعة[3]. وبلغ حبُّه للعلم مبلغاً بعيداً إذ أُخرج مرتين من خزائن الكتب العامة عنوة من قبل الشرطة في المدينة المنورة وتركية.

---

(١) انظر رحلات حمد الجاسر، ص١٤٩.
(٢) انظر مجلة العرب، س١١، ص٦٣٣.
(٣) انظر مقدمة المحقق.

ولولا أنه لا هادي لمن أضلَّه الله لأشرت أن يقرأ سيرة الجاسر هذه عبيد الدارهم والدنانير ممن ينتسبون إلى العلم والدين، ثم تهافتوا على المال والمناصب في دناءة ووضاعة كلبيتين راكبين إليها الكذب والنفاق وسوء الائتمان وتدنيس العلم.

مكانته في السعودية وخارجها:

حظي الجاسر بمكانة مرموقة في بلاده، فسمِّي أحد الشوارع الرياض باسمه، ومنح جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (أدب الرحلات في التراث العربي تحقيقاً أو دراسة) عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م. ومنح جائزة سلطان العويس عام ١٩٩٣.

ولمكانته العلمية السامقة انتخب عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م، وانتخب عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م، وانتخبه مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضواً عاملاً فيه عام ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م، وانتخبه مجمع اللغة العربية الأردني عضواً مؤازراً فيه، واختاره المجمع العلمي الهندي عضواً فيه، واختارته الأكاديمية المغربية عضواً فيها، وضمّه المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن إلى أعضائه، وضمته مؤسسة الفرقان إلى هيئتها الاستشارية.

تثبُّته فيما يكتب:

الجاسر كثير التثبت والتحري فيما يكتب، وهو على استعداد للسفر إلى خارج بلده للتثبت والمعرفة، كما فعل عندما سافر إلى اليمن شهراً لمعرفة فهم بعض الكلمات اليمنية القديمة الواردة في كتاب الجوهرتين للهمداني.

ونراه يمكث في القاهرة أكثر من شهر ليقرأ مع العلاّمة محمود محمد شاكر مخطوطة الهجري (التعليقات والنوادر) فيقول في القسم من التعليقات

والنوادر: «. . . ولله سويعات قضيتها مع أستاذنا الجليل أبي فهر محمود محمد شاكر. نعاني من قراءة مخطوطة كتاب الهجري من الجهد والمشقة ما نعاني طيلة تسعة وعشرين يوماً، حتى استطعنا تقويم كثير من أود هذا العابث فيما نشر من ذلك الكتاب في جزئين. . . »[1].

ونجده يكتب إلى بعض إخوانه العراقيين من العلماء مستوضحاً عن تحديد الأماكن العراقية المذكورة في الأراجيز الواردة في كتاب المناسك[2].

أمانته العلمية:

ومما يتصل بالحديث عن أخلاق الجاسر تلك السمة التي تطالعك في كتبه وتحقيقاته ومقالاته واضحة، لا تحتاج في إدراكها إلى كبير عناء، تلك أمانته العلمية تتجلى في تحريه وتأدبه، ينسب المنقول شواهد وأقوالاً، ويعين المكان والكتاب، ويلقي العهدة على من روى، ويتحامى الإدعاء في إثبات ما علم ونفي ما لم يعلم، ويعلن أنه لا يدري، فهو لا يستحي أن يقول لا أدري، ولا يستحي أن يقول في تحقيق بعض المخطوطات: هناك بعض كلمات لم أستطع قراءتها وضعت بجانبها علامة الاسفتهام (؟) أو يضع نقطاً بين معقوفتين [. . .] للكلمات التي لم تتضح له في المخطوطة[3].

وهو حين يورد أقوال القدماء في أمانة لم يقف أمامها مختفية شخصيته، بل ناقش واعترض، وردّ وأورد الدليل وصحح ورأى، ونظر وأكد، ورجح واستشهد.

منهجه في التحقيق:

كان يجمع مخطوطات الكتاب الذي ينشره ويصفها، وينبه على الفرق

---

(١) التعليقات والنوادر: ١/ ٣٤٤.
(٢) انظر المناسك، ص٧٩٩.
(٣) انظر مقدمته لكتاب أدب الخواص؛ والدرر الفوائد؛ ورسائل في تاريخ المدينة.

بين نسخها وعلى إضافات النساخ، وربط كلام المؤلف بكتبه الأخرى، والربط بين الكتب المؤلفة في الموضوع، ويوثق النقول ويحرر المسائل، ويوضح ما قد يحتاج إلى إيضاح، ويعني بتحرير النص وتصحيحه عناية فائقة، ويعني بالضبط، وصُنع الفهارس الفنية التي تقرّب مادة الكتاب إلى الباحثين، وتيسر الوصول إلى بغيتهم فيه، كما يصدر الكتاب بمقدمة يتحدث فيها عن المؤلف وكتابه.

وهو في تعليقاته لم يطل بما هو زائد عن موضوع الكتاب، أما إطالة التعليقات بما هو زائد عن موضوع الكتاب، فيرى الجاسر أن كل ذلك زائد عما يجب على الناشر، إنه من عمل الشارح أو المستدرك على المؤلف، فالمطلوب هو تحقيق النص لا شرح الكتاب. وفي بعض الأحيان يرى عدم الحاجة إلى الحواشي والاكتفاء بإبراز الكتاب بصورة هي أقرب ما تكون إلى صورته الأصلية[1].

وهو لا يرى جدوى إثبات الفروق اليسيرة بين النسخ في الهامش، وتجاوز عن كثيرٍ منها مما يرجع إلى سهو الكاتب في نقط بعض الحروف مثلاً. فلا جدوى من إثباتها سوى إظهار الجهد وتكلف العناء، وسوى إثقال الحواشي بما لا غناء فيه، وهو أمر لا يفيد القارئ.

كما أعفاه من حواش لا فائدة فيها تتعلق بسقوط نقط، أو ألفات من بعض النسخ، فليس في إثبات ذلك سوى الاستكثار الفارغ بما هو ظاهر التحريف.

والجاسر لم يكثر الحواشي إلا في كتاب (الأماكن) للحازمي، وكانت بمثابة الشرح للكتاب والأمر يحتاج إلى ذلك، فالأماكن إن لم تعرّف ضعفت الاستفادة من الكتاب، وهذا الاختلاف في النهج من حيث التعليقات يعود إلى طبيعة الكتاب، وما تقتضيه مادته من التعليق، وقد جاءت تحقيقاته على درجة من الجودة تُبهج وتُسر، وأصبح من فضول القول الثناء على عمله.

---

(١) انظر رسائل في تاريخ المدينة، والبرق اليماني.

ولم يُخرِّج الأبيات والأقوال على ما درج عليه علماء التحقيق المحدثون، ويرى في كثير منها إطالة لا داعي لها، فتخريج الأشعار على المصادر المختلفة ليس هدفاً من أهداف النشر ولا غاية يعمد إليها الناشر. وكان يصنع ـ أحياناً ـ عناوين لمباحث الكتاب بين مربعين [. .] تسهيلاً للقارئ كما في كتاب المناسك، ويصحح ـ غالباً ـ الأخطاء اللغوية والنحوية الواردة في الكتاب ككتاب (الدرر الفوائد) و(رسائل في تاريخ المدينة).

ومع ما بذله الجاسر من جهد نرى تواضعه العلمي يحمله على القول: «انحصر عملي في تقديم نسخة تكون أقرب صحة وأكثر مطابقة لأصل الكتاب»[1]

أو يقول: حاولت إخراج نسخة صحيحة من هذا الكتاب[2].

وإن كان الكتاب الذي حققه قد نشر من قبل فيشير إلى ذلك ويورد الأسباب التي جعلته يعيد نشر الكتاب. انظر مقدمة كتاب (الدرر الفرائد). حيث أشار إلى طبعة محب الدين الخطيب لهذا الكتاب، وتكلم عن نقصها.

وقد يعدل عن المضي في تحقيق الكتاب إن علم أنه نشر قبل ذلك كالذي تراه في كتاب (من اسمه عمرو من الشعراء) لمحمد بن داود بن الجراح حينما توقف عن تحقيق هذا الكتاب، بعد أن نشر فصولاً منه، حينما أعلمه الأستاذ إبراهيم شبُّوح أن الكتاب نشر كاملاً بتحقيق أحد المتسشرقين الألمان[3].

الجاسر ناقداً ومنقوداً:

النقد لا يقلّل من الكتاب بل هو متمم له، والنقد يجبر النقص ويقيم العوج، ويصلح المنآد، والخطوات العلمية لا تسدد إلا بالنقد، يسهم فيه كل

---

(١) انظر مقدمته لرسالة (تذكرة الألباب في الأنساب) للبتي.
(٢) انظر مقدمته لكتاب (الإيناس) للوزير المغربي.
(٣) انظر مجلة العرب، س٢٧، ص٢٧٨.

من عنّ له رأي صالح، وما من أحد يصغر عن أن ينقد، كما أنه ما من أحد يكبر عن أن يُنقَد. وإذا أدركنا أن الكتاب المنقود هو الكتاب المقروء كانت النظرات في الكتاب دليلاً على حبنا لهذا الكتاب وقراءتنا له، وكثير من المؤلفات لا يبلغ من الأصالة والقوة ما يجعلها عرضة للنقد، وما أحسن قول الأستاذ محمود محمد شاكر: «فإن جودة العلم لا تتكون إلا بجودة النقد، ولولا النقد لبطل كثير علم، ولاختلط الجهل بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ولا حيلة فيه»(١).

والكتاب العظيم لا يحفل كثيراً بموافقة أو مخالفة، فحسبه أن يحرك الساكن، ويجري الراكد، ويهز المألوف، بل إن المخالفة قد تعجبه أحياناً لأنها ترده إلى الرأي الأول، فيستدرك فائته ويكمل نقصه، فيزداد جلاء ووضوحاً، وقد يقتنع بالرأي المخالف إذا عرف صدقه ولمعت أمامه أنواره، وثبتت لديه صحته، فيرجع عما قال راضياً سعيداً على ما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضاء: لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل(٢).

ويقول الجاسر في كتابه: نظرات في كتاب تاج العروس: «وأعلم علم يقين واطمئنان أن تقديس العلماء له حدود إذا تجاوزها صار كفراً وزيغاً، وأن من تعظيمهم السير على النهج القديم الذي سنّوه وساروا عليه وهو أنهم بشر يصيبون ويخطئون، وليسوا رسلاً معصومين، وأنهم لا يرضون من أحد أن يقلدهم تقليداً أعمى، فيقبل جميع أقوالهم قبل أن يزنها بميزان يوضح صوابها من خطئها. ومن الوفاء للعلماء ومن تقديرهم بيان ما في أقوالهم من خطأ لئلا يكثر متابعوهم على ذلك، فيكثر الضلال، وهذا يتنافى مع وظيفة العلماء في هذه الحياة»(٣).

---

(١) كتاب المتنبي، ص٤٦٧.
(٢) الكامل للمبرد: ١/ ٢٠.
(٣) تاج العروس، ص٣٤ هامش.

وعلى هذا الأساس نقد الجاسر كتباً كثيرة لقدماء وعصريين ولا يكاد يخلو كل عدد من مجلته (العرب) من نقد لكتاب بعضه للمؤلف وبعضه للناسخ وبعضه للمحقق.

ومن أهم الكتب القديمة التي نقدها (معجم البلدان) لياقوت الحموي، و(معجم ما استعجم) للبكري، و(الجيم) للشيباني، و(تاج العروس) للزبيدي، و(أنساب الأشراف للبلاذري، و(المرصع) لابن الأثير، و(الأمكنة والجبال والمياه) للزمخشري.

ومن الكتب الحديثة التي نقدها (المعجم الكبير) الذي أصدر مجمع اللغة العربية أجزاء منه و(التوراة جاءت من جزيرة العرب) للدكتور كمال الصليبي.

أما الكتب التي عرّف بها في الصحف والمجلات، وأبدى رأيه فيها، وعرض لبعض المآخذ عليها فأكثر من أن تحصى.

والجاسر ـ حينما ينقد ـ يحيك نقده بكلام مهذب رقيق، لتقبل عليه نفس المنقود تأدية لحق العلم ورعاية لحقوق الأخوة ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

اقرأ معي هذه الجمل من مقالته في نقد كتاب (المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات) لابن الأثير الذي حققه أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي: «. . . ومنزلة محققه الرفيعة في نفوس محبيه وعارفي فضله تحمل على مشاركته في عمله قدر المستطاع، وهذا ما دفعني إلى أن أورد هنا ملاحظات كتبتها في هامش نسختي التي كرم أستاذنا السامرائي باتحافي بها، وما كل الملاحظات على درجة من القوة تحمل على الأخذ بها، وليس كلها مما يختص بالتحقيق، بل منها ما يتعلق بالمؤلف نفسه، وليست كلها ما في الكتاب مما يحتاج إلى تأمل وتصحيح»[١].

---

(١) مجلة العرب، س٦، ص٧٩٣.

والجاسر ينتقد ويجادل ولكنه سمح قبل ذلك وبعده، وآخرون إذا خاصموا فلا ينتهي خصامهم عند انتهاء المسألة كتابة أو تعاملاً إنما يطفقون يكيدون لك، ويدسُّون عليك، يريدونك أن تتحطم، وأن يظلوا هم أوثاناً في الساحة وحدهم، لا يشاركهم أحد المجد الزائف، والحياة الحقيرة الفانية، لا يعرفون إلى التسامح سبيلاً، فإما أن يُؤَلَّهوا، وإما أن يحقدوا وتعمى أبصارهم بهذا الداء الوبيل.

اقرأ معي هذه الفقرة من كتاب رحلات حمد الجاسر ويتحدث عن المستشرق الألماني (رودلف زلهايم) محقق كتاب (نور القبس) فيقول:

«وقد جرى التعارف بيننا بعد أن نشرت كلمة عن ذلك الكتاب، أوضحت فيها ملاحظات تتعلق به، فكان هذا سبب التعارف والتواصل بيننا، بينما كانت كتاباتي عن بعض المطبوعات التي يقوم بها أساتيذنا وإخواننا من العرب سبباً للقطيعة ومدعاة للوقيعة أيضاً»[١].

هذا هو المحزن في الأمر، فالمستشرقون والغربيون والأميركيون وغيرهم من أمم الأرض، يقدرونك إذا دللتهم على أخطائهم، كأنهم يطبقون الحديث النبوي الشريف: «رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا» ونحن المسلمون نرفض هذا المسلك كأننا نرفض هذا التوجيه النبوي.

والجاسر ـ عندما ينقد ـ يمهد بكلمة ثناء على عمل المحقق أو المؤلف ويشير إلى صعوبة عمله، فقد رأى معارك شديدة اللهجة تدور أحياناً بين الناقد والمنقود على صفحات المجلات إذ يتمسك كل واحد منهما برأيه، ويميل على الرأي الآخر تسفيهاً وتجريماً، وهو ما تحاشاه الجاسر في جميع ما نقد مع جنوح بعض المتناظرين إلى التطاول، ولكن الأخذ بالتي هي أحسن من الجاسر قد دفع المتطاولين إلى الاعتدال.

---

(١) رحلات حمد الجاسر، ص٣١٤ـ٣١٥.

وما صدر عن الجاسر من نقوده الكثيرة يتسم بسمة الإنصاف والتماس العذر عند الخطأ الصريح، ولا تجد أوثق خلقاً، وأرحب صدراً وأقرب إلى طبقة ورثة الأنبياء ممن يلتمس العذر لدى الخطأ الصريح.

والجاسر يدعو إلى نقد عمله من تأليف وتحقيق فيقول عن كتابه (معجم قبائل المملكة العربية السعودية): «وغاية ما نرومه أن يتناول القراء هذا الكتاب بالنقد والتصحيح والاستدراك لكي نتمكن من إخراجه في طبعته الثانية بصورة خير من صورته التي خرج بها في طبعته الأولى»[1].

ويقول الجاسر في خاتمة كتابه (معجم قبائل المملكة): . . . وحسبي أني بذلت جهدي في الجمع وحده فقدمت هذا الكتاب الذي أرجو من المعنيين بموضوعه أن تكون نظراتهم إليه نظرات نقد وتصحيح لا نظرة إعضاء وستر لعيوبه، وأخطائه الكثيرة التي أدركت كثيراً منها بعد أن تصفحت تجارب الطبع فلم أتمكن من إصلاحها.

ولو أردت الاعتذار وإلقاء التبعة على غيري لما أعياني ذلك إذ عملي منحصر في الجمع والنقل مما كتبه غيري أولاً، ومجال الاعتذار واسع لو جاز لمثلي أن يعتذر، ولكن ما قيمة عمل المؤلف إذا لم يحقق ما ينقله، فيختار الصحيح منه ولا يكون (إمّعة) يسير على ما رسم له؟!»[2].

ويقول في خاتمة كتابه جمهرة الأنساب المتحضرة في نجد: «ولا شك قد فاتني الكثير مما ينبغي أن يضمه هذا الكتاب، وأنه وقع فيما جمعت من الأخطاء والأوهام ما قل أن يخلو منه كتاب مثله. . وقد لا أعدِم من قارئ كريم نظرة إصلاح وإرشاد وإكمال نقص إذ (المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه). . . وما على من يرون فيه نقصاً أو قصوراً إلا أن يوضحوا ما يعرفونه مما لا يعرفه سواهم وأنا لا أقول كما قال الخطيئة:

---

(١) مجلة العرب، س١٥، ص٨٨٨.

(٢) معجم قبائل المملكة، ص٩٠١.

أقِلُّـوا عليهـم ـ لا أبـاً لأبيكـم ـ من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

ولكن أقول: ها هو كل ما لدي قد بذلته لك أيها القارئ الكريم، فأضِف إليه من علمك ما يزيده، وأفَض عليه من سعة اطلاعك ما يكمل نقصه، وانظر إليه بعين الناقد المحقق، وأصلح أخطاءه إصلاح العارف المدقق، واعتبر النفع العام غاية، وكل ما عدا ذلك وسيلة، والغايات مقدمة على الوسائل فاستَهِنْ في سبيل بلوغها كل شيء بدون مبالاة أو اهتمام والعاقبة للتقوى»[(١)].

وهذه صفة كل حريص على أن يكون عمله في ميدان نشر المعرفة قائماً على أساس من التجرد من الهوى، والرغبة الصادقة في الوصول إلى الحقيقة، وقلّ من يتصف بهذا في عصرنا الحاضر.

ويتسع صدر الجاسر لنقد ما يكتبه، وينشر ذلك في مجلته العظيمة (العرب) فينشر ـ مثلاً ـ نقد عباس هاني الجراخ لكتابة (معجم أسماء الخيل)[(٢)]، ونقده لكتـاب التعليقات والنوادر[(٣)]، وينشر أيضاً نقد أحمد الفهد العريفي لكتاب (المعجم الجغرافي للبـلاد العربيـة السـعودية ـ شـمال المملكة)[(٤)]، وينشر ملاحظـات عيد بن مدعج السـبيعي لكتاب (معجم قبائل المملكـة)[(٥)]، وملاحظات عبد الله بن هميش العنزي (أصول الخيل العربية الحديثة)[(٦)]، وينشـر ملحوظات بعض القراء على كتـاب (جمهرة الأنساب المتحضرة في نجد)[(٧)]، بل ينشر مقال الدكتور عبد الله الوهيبي[(٨)] الذي أبان فيه

---

(١) جمهرة الأنساب المتحضرة في نجد، ص٩١٤.
(٢) انظر مجلة العرب، س٣٢: ٤٩٦ ـ ٥١٥ و٦١٧ ـ ٢٢٧.
(٣) س٣٢: ٢٣٥ ـ ٢٣٧.
(٤) مجلة العرب س٣٢: ٩٣ ـ ٩٧.
(٥) مجلة العرب، س٣٠: ٨٤١ ـ ٨٤٧.
(٦) مجلة العرب، س٣١: ٨١١ ـ ٨١٦.
(٧) مجلة العرب، س٣٠: ٢٧١ ـ ٢٨١.
(٨) مجلة العرب، س٢٣: ٤٣٣ ـ ٤٤١.

أن كتـاب (المناسك) للحربي الذي نشره الجاسر بهذه التسمية والنسبة هو (الطريق) لوكيع تلميذ الحربي، وقد قدمه الجاسر على مقالات العرب كلها وهذا يدل على تقبله النقد في تواضع ورحابة صدر.

بل يذهب به احتفاؤه بالنقد إلى أكثر من هذا. فحين أكرمني بالكتابة عن كتابي (ذيل الأعلام) في صحيفة الرياض (ع١٠٩٩٩) الصادر في ١٣ ربيع الآخر ١٤١٩هـ ـ ٥آب ١٩٩٨م، وأرسلت إليه بتعقيبي على ما كتب، أرسل تعقيبي إلى صحيفة الرياض لينشر تعقيبي حيث نشر تعريفه بكتابي مع أني لم أطلب منه ذلك، وقد نشر تعقيبي في الصحيفة نفسها (ع١١٠٤٩)، ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ـ ٢٤ أيلول ١٩٩٨م.

وسعة صدره البارزة على صفحات مجلته تدل على احترام قوي للرأي الآخر، ونجد الجاسر يفسح المجال لناقديه عن سماحة، ويعقب كثيراً بما يدل على موافقته للناقد شاكراً له جهده العلمي البارز.

موقفه من نشر الكتب التي تخالف فكره:

إن أي كتاب يؤلف في أي فرع من فروع المعرفة لا يخلو من المآخذ قلّت أو كثرت، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى هذا قائلاً في وصف كتابه العزيز ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والجاسر لا يرى أي غضاضة في نشر ما يخالف فكره وآراءه، فالجاسر مثلاً يخالف الزبيدي مؤلف التاج بحلّ الدخان، ومع ذلك نشر الجاسر رسالته (هدية الإخوان في شجرة الدخان) التي أحلّ فيها الزبيدي استعمال دخانها، ويقول الجاسر معللاً نشر الرسالة: «فلو رفضنا نشر كل كتاب يحوي من الآراء ما لا يتفق مع آرائنا لما وجدنا ما ننشره، وصدق الله العظيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ثم إننا بحاجة إلى معرفة تلك الآراء لمناقشتها، وهذا لا يتسنّى بدون نشرها».

مثال ثانٍ: كتاب (السحب الوابلة في طبقات الحنابلة) لابن حميد الذي

نشر منه الجاسر (العلماء النجديون) هذا المؤلف كان شديد الخصومة للدعوة السلفية الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأهمل تراجم كثير من مشاهير علماء نجد من آل الشيخ (ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ومن غيرهم من عصر الشيخ وبعده بدافع الهوى والتعصب، لذلك تراه يشيد بأناس ينتمون إلى العلم ويحاول الرفع من مكانتهم لكونهم ممن عادى الدعوى السلفية. ونسب إلى علماء الدعوة السلفية من الآراء ما هم منه براء زوراً وبهتاناً.

وقد وقف الجاسر متردداً في نشر هذا الجزء من الكتاب بسبب موقف مؤلفه من الدعوة الإصلاحية التي عادت على الأمة بأنفع الثمار، أيهمل الكتاب مع اتساع شهرته لكيلا يكون في حديثه عنه ما يدعو إلى ترويجه؟ أم يعمل حياله ما يراه كاشفاً لحقيقة ما فيه فيوفّر للباحثين ذلك، وينبّه من يجهل أمره لئلا يقع في مزالق أوهامه؟.

فرأى في نشره خير الأمرين لأن إهمال هذا الكتاب لا يجدي نفعاً فقد عُرف. رجع إليه الزركلي في (الأعلام) وهو من أوسع كتب التراجم ورجع إليه غيره، ثم إن الدعوة الإصلاحية قد ظهرت حقيقتها حتى أصبحت كالشمس في رابعة النهار، ولهذا لا ضير في نشر هذا الكتاب، وإبداء آراء مؤلفه لمعرفة منزلته في العلم ولإبطال الباطل منها، بل إن هذا من الأمور المتعينة على العلماء فكما قال الإمام أبو عبد الرحمن السُّلَمي: «أهل السنة يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل البدعة لا يكتبون إلا ما لهم - أو ما هذا معناه - أي أنهم لضعف حججهم لا يذكرون أدلة خصومه لكيلا يتضح بطلان آرائهم، بخلاف أهل الحق فإنه لا يضيرهم إيراد أدلة خصومهم لأن تلك الأدلة تنادي على نفسها بالبطلان.

مثال ثالث: (رسائل في تاريخ المدينة المنورة) فقد أخذ الجاسر على مؤلف الرسالة الأولى علي بن موسى (وصف المدينة المنورة) إقراره بعض البدع والخرافات كالتوسل بالأموات والبناء على القبور وإسراجها، ونيله من الحركة الإصلاحية في الجزيرة العربية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب،

واطلاقه كلمة (الوهابية) على القائمين بتلك الدعوة، وعدم تمكنه من اللغة، ويقول الجاسر: «على أننا لو عمدنا إلى كل مؤلَّف يحوي من الآراء ما نراه باطلاً ولو قليلاً لما بقي لدينا من تراثنا إلا القليل، ورحم الله القائل:

فإنا لم نُوقَّ النقص حتى نطالب بالكمال الأولينا

وانظر أيضاً كلامه على الرسالة الثالثة (الوفا بما يجب لحضرة المصطفى) للسمهودي.

مسلكه وأخلاقه:

والجاسر حاد الذهن، قوي الذاكرة، شعلة نشاط، عفيف اللسان جم التواضع، حليم كريم، برٌّ بإخوانه، كريمٌ مع أهل العلم، لا يبخل عليهم بشيء. يغلب عليه الانقباض عن الناس والرغبة في عدم مخالطتهم. يتحاشى أن يحمل فضل كل مفضل، فيه عزة العلماء وشموخهم، يسلك منهجهم فلا يستنكف أن يقول: ذهبت إلى أستاذنا واتصلت بأستاذنا، اطلعت على ما كتبه أستاذنا حتى لو كان دونه سناً كإبراهيم السامرائي، وإحسان عباس، وصبحي البصام... وهذه صفة العلماء فلا يتكبرون ولا يقولون: قلنا، وفعلنا، وقيل فينا. ومن أراد الاستزادة في مسلكه وأخلاقه فيراجع التعريف برحلاته في هذا الكتاب.

رأيه في رسم الكلمة العربية:

للجاسر رأي جريء بهذه المسألة، وهو رسم الكلمة العربية عند كتابتها نحو ما نقرأها.

ويدعم رأيه هذا بما وجده في نصوص العلماء المتقدمين من أقوال تدل على كتابة الكلمة كما تقرأ، فالقواعد الإملائية وسيلة لصحة القراءة وليست غاية، والقاعدة وسيلة لدفع الخطأ، وكتابة الاسم كما ينطق أضمن وسيلة لدفع الخطأ.

وقد أخذ يطبق هذا الرأي في كتابته بجرأة واقتدار. فهو يكتب اسمي ابنتيه

سَلْوَا ومُنا، ويكتب اسم أسرتي السدارا والجراوا وكذلك الاسم يحيا بألفات ممدودة مع علمه بالقاعدة السائدة التي ترسمها بألف مقصورة (سلوى، منى، السدارى، الجراوى، يحيى)[1].

ولكنه يؤثر كتابتها كما ننطقها رفعاً للخطأ ودفعاً للبس عند قراءتها. بل نراه يكتب ذلك، هؤلاء: ذالك، هاؤلاء.

ولاشك في أننا لو أخذنا بهذه القاعدة على إطلاقها لحللنا كثيراً من صعوبات الكتابة العربية، وسهّلنا الأمر على أطفالنا وناشئتنا على وجه الخصوص.

وبعد، فلقد كنت وأنا اقرأ سيرته وما يكتب، تطالعني صورته المحببة بعلمه الغزير، وسعة أفقه، وتسامحه ومناقبه وتواضعه. عزف عن المغريات، ولم تغرّه مظاهر الدنيا البرّاقة فكان المؤمن المتمسك بالمبدأ والقيم والمثل، وكان القدوة الحسنة الطيبة في خلقه ومسلكه وعلمه ونزاهته.

والحديث عن الجاسر عَذْبٌ مُستَمْلَح لا يمل، وسأعود إلياه بتفصيل إن شاء الله في سلسلة أعلام المسلمين.

* * *

---

(١) انظر رحلات حمد الجاسر، ص٢٣١ و٣٠٢؛ وجمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد: ١/ ٣٧و٩٧.

الفصل الثاني
تعريف بمؤلفاته [1]

(١) لم نضع هنا قائمة كاملة بأسماء مؤلفاته، وقد أوردنا التعريف بها على حروف الهجاء، وأوردنا أسماءها كاملة في فهرس الموضوعات.

تعريف بمؤلفاته

● مسرد لآثار الجاسر تأليفاً وتحقيقاً ومراجعة وإشرافاً مرتبة على حروف المعجم.

المؤلفات:

١ ـ ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد.

٢ ـ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع.

٣ ـ أصول الخيل العربية الحديثة.

٤ ـ إطلالة على العالم الفسيح بين الشرق والغرب.

٥ ـ باهلة القبيلة المفترى عليها.

٦ ـ بلاد ينبع.

٧ ـ التعليقات والنوادر ـ دراسة ومختارات.

٨ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد.

٩ ـ رحالة غربيون في بلادنا.

١٠ ـ رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث.

١١ ـ العرب (الفهارس العامة).

١٢ ـ في سراة غامد وزهران.

١٣ ـ في شمال غرب الجزيرة.

١٤ ـ في الوطن العربي.

١٥ ـ مدينة الرياض.

١٦ ـ مع الشعراء ـ مختارات ومطالعات .

١٧ ـ معجم أسماء الخيل .

١٨ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر .

١٩ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ شمال المملكة .

٢٠ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية .

٢١ ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية .

٢٢ ـ موقع عكاظ .

٢٣ ـ نظرات في كتاب تاج العروس .

٢٤ ـ نظرات في المعجم الكبير .

٢٥ ـ الإقطاعات النبوية (مخطوط) .

٢٦ ـ المعادن القديمة في بلاد العرب (مخطوط) .

٢٧ ـ الطرق القديمة في جزيرة العرب (مخطوط) .

ونشر قسماً كبيراً من مذكراته في المجلة العربية بعنوان (من سوانح الذكريات) من تاريخ جمادى الآخرى ١٤٠٦هـ إلى المحرم ١٤١٥هـ .

التحقيقات :

١ ـ أدب الخواص للمغربي .

٢ ـ أشهر رحلات الحج (ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي) .

٣ ـ الأماكن للحازمي .

٤ ـ الإيناس في علم الأنساب للمغربي .

٥ ـ البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي لابن طولون .

٦ ـ البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين النهروالي .

٧ ـ بلاد العرب للأصفهاني .

٨ ـ البلدانيات الحديثة (بلدانيات السخاوي) .

٩ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى .

١٠ ـ تذكرة الألباب في أصول الأنساب للبتي .

١١ ـ الجواهر المعدة في فضائل جدة للحضراوي .

١٢ ـ الحجاز في القرن السابع الهجري عاماً في رحلة ابن رشيد الأندلسي .

١٣ ـ حسن القرى في ذكر أودية أم القرى لابن فهد .

١٤ ـ الدرر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة للجزيري .

١٥ ـ رحّالة دمشقي مرّ بنجد سنة ١١٢٠ هـ (تحقيق وتلخيص) .

١٦ ـ رحلة التميمي التونسي إلى الحج لمحمد بن صالح القيرواني (تحقيق وتلخيص) .

١٧ ـ رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي إلى الحج (تحقيق وتلخيص) .

١٨ ـ رسائل في تاريخ المدينة .

١٩ ـ العلماء النجديون في السحب الوابلة لابن حميد .

٢٠ ـ القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد للدخيل .

٢١ ـ كتاب الجوهرتين للهمداني .

٢٢ ـ كشف الحجب والستور للبرزنجي .

٢٣ ـ مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب .

٢٤ ـ المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي .

٢٥ ـ من اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح (لم يتمه) و(من مصادر

تاريخ الدولة السعودية الأولى ـ تاريخ أشراف مكة لابن عبد الشكور) تحقيق وتلخيص.

٢٦ـ المناسك.

٢٧ـ نبذة تاريخية عن نجد لضاري بن فهد.

٢٨ـ النفح الفرجي للبرزنجي.

٢٩ـ نونية الكميت الأسدي.

٣٠ـ هدية الإخوان في شجرة الدخان للزبيدي.

٣١ـ وصف مكة للتلمساني.

٣٢ ـ الأمكنة والمياه والجبال والآثار لنصر الإسكندري. أنهاه تحقيقاً ونشر منه فصولاً في مجلته العرب.

المراجعات:

١ ـ تحفة المستفيد للأحسائي.

٢ـ شعر الشنفري الأزدي لمؤرج السدوسي، تحقيق د. علي ناصر غالب.

٣ـ صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق محمد بن علي الأكوع.

٤ ـ المحمدون من الشعراء للقفطي، تحقيق حسن معمري.

٥ ـ معجم المطبوعات العربية (السعودية) للدكتور علي جواد الطاهر.

ومما يصح أن يتخذ كتاباً

١ ـ التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار (خاصة في كتابي معجم البلدان ومعجم ما استعجم) وقد نشر منه حتى الآن في العرب سبعاً وعشرين حلقة. وصل فيها إلى حرف العين.

* * *

ابن عربي

موطّد الحكم الأموي في نجد[1]

ابن عربي: إبراهيم بن عبد الرحمن بن نافع بن عربي بن مُنكِث الكناني، من ولاة بني أمية، نشأ منتسباً إلى بني مالك من كنانة معدوداً منهم، وكان مع مروان بن الحكم حينما كان يتولى ديوان عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعين والياً لليمامة في عهد عبد الملك بن مروان وعهد ابنه الوليد نحو ربع قرن فوطّد دعائم الحكم الأموي، وأخذ الناس بالعسف والشدة، ويعد من أطول ولاة بني أمية بقاءً في الحكم وكان أسود اللون في لسانه عجمة. ومن هنا جاء اسم الكتاب، ويحوي هذا الكتاب لمحات من تاريخ نجد في عهد الدولة الأموية.

وقبل الحديث عن ابن عربي كتب الجاسر نحو مئة وعشرين صحفة خصصها للحديث عن نجد في العهد الأموي، وعن أهم الأحداث والثورات التي وقعت فيها وعن بعض الولاة فيها، فتحدث عن الأوضاع الإدارية في البلاد في صدر الإسلام، فأبان أن مدلول مسمّى (اليمامة) في ذلك العهد يعمّ نجداً كلها، وخلص إلى أن الحالة الإدارية في نجد على عهد الخلفاء الراشدين لم تكن على درجة من الوضوح بحيث تكون لها معالم بارزة.

وعرّج على حالة سكان نجد عند استقرار الحكم الأموي، وأبان أن نجداً أو ما عرف في ذلك العهد بـ(اليمامة) لم تنعم بفترة استقرار تام في أثناء الحكم الأموي.

---

(١) الرياض ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٢٩٨ صفحة ١٧×٢٤.

وتحدث عن عدم ملائمة الحكم الأموي لطبيعة السكان، وعن جور الولاة وظلمهم، ووجد في الشعر مرآة لطريقة تصريف الأمور في الحكم الأموي لشحّ المصادر في ذلك.

ثم عقد فصولاً مطولة ممتعة عن ثورة نجدة بن عامر الحنفي واستيلائه على البلاد، وعندما عرض للاختلاف على نجدة، انتهى إلى نتائج غاية في الأهمية منها: أن نجدة لم يكن من الخوارج قط، بل أنكر أُسسهم كما يتضح من كتابه الذي وجهه إلى نافع بن الأزرق، وكان الاختلاف بينهما في أمور جوهرية يراها نافع وأتباعه ويخالفهم فيها نجدة[1]، فالجاسر لم يرَ فيما قرأ عن نجدة ما يحمله على الاطمئنان إلى ما ينسب إليه، مما لا يتفق مع ما عليه عامة المسلمين.

فبرأ نجدة مما وصم به أنه خارجي بالمعنى الذي يفهم منه مفارقة ما عليه جماعة المسلمين من اعتقاد وعمل في أصول الدين وفروعه مما أجمعوا عليه، والجاسر ليس مقتنعاً أنه كانت له نحلة من نحل الخوارج تعرف بـ(النجدية)[2].

وأشار إلى بواعث الاختلاف بين نجدة وأصحابه، وهي أسباب حقيقية هي في مجملها مما يؤيد القول بأنه كان على خلاف مع المنتمين من أتباعه إلى مذهب الخوارج، ومرد هذا الاختلاف عدم انتمائه إلى ذلك المذهب. ويقول الجاسر: فلو ساغ قبول كل وصمة تنسب إلى عالم لم يسلم من ذلك أحد من العلماء في مختلف العصور.

ثم تحدث عن ثورة أبي فديك على الدولة الأموية والقضاء عليها، ثم تطرق لولاة اليمامة بعد استتاب الأمر لعبد الملك بن مروان وهم عشرة ولاة.

ثم انتقل للحديث عن ابن عربي[3]، فتحدث عن نشأته وأعماله وصلته

---

(١) ابن عربي موطد الحكم الأموي، ص٧٦ـ٧٩ و٨٤ـ٩٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٣.
(٣) ابن عربي، ص١٢١ـ٢١٤.

ببني أمية والحجاج وشدته وصرامته في الحكم، وعرّج على سجن دَوَّار في حَجْر الذي أنشأه ابن عربي، وكان من أبرز وسائل القهر والإذلال التي عرفت عن ابن عربي، وقد سجل الشعر العربي في ذلك العصر الكثير مما يلاقيه المسجون فيه من قسوة وعنف وسوء معاملة، وعرض الجاسر للمحة عن السجون عند العرب.

ثم تطرق للحديث عن والي اليمامة المهاجر بن عبد الله الكلابي وعن صلته ببني أمية[١]، واسترسل بالحديث عن صلته بالشعراء ليلقي الضوء على جوانب من طريقة حكمه. ثم انتقل للحديث عن آخر ولاة بني أمية على اليمامة وهو علي بن المهاجر الكلابي[٢].

ثم عقد فصلاً للحديث عن عودة الجاهلية الأولى، فبعد انتهاء الدولة الأموية عاد العداء بين القبائل العربية في اليمامة كما كان في الجاهلية، وكان يؤدي في كثير من الأحيان إلى حروب شرسة لم يتم القضاء عليها إلا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، حينما وحدّ الملك عبد العزيز آل سعود أجزاء البلاد باسم المملكة العربية السعودية. وختم الكتاب بمصورات جغرافية (خرائط) تلاها فهارس الكتاب ومراجعه.

* * *

---

(١) ابن عربي موطد الحكم الأموي، ص٢١٥ ـ ٢٣١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣٢ ـ ٢٣٨.

أبو علي الهَجَري
وأبحاثه في تحديد المواضع(1)

أبو علي الهَجَري، واسمه هارون بن زكريا، من أعلام الجزيرة العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ويرجح أنه من هَجَر (الأحساء) الآن، أخذ عنه علماء كثيرون من المشرق والمغرب مثل: الهمداني صاحب الإكليل، وابن بـري المصري، والوزير المغربي، وابن حجر العسـقلاني، وثـابت بن حزم السرقسطي، وابن سيدة، والبكري، والرُّشاطي وأبو حيان الأندلسي وغيرهم.

وهو عالم جليل القدر، متعدد نواحي المعرفة، ومع هذا فإنه يكاد يكون مغموراً، وقد تصدى لتدوين أدب الجزيرة العربية وثقافتها، ووصف كثيراً من المواضع وحددها تحديداً صائباً، وحاول أن يسجل ما يستطيع تسجيله من لغة أهل الجزيرة وأدبهم وشعرهم وأنسابهم وتحديد مواضعهم تسجيلاً يقوم على أساس الرواية الصحيحة لا طريقة النقل من الكتب، وذلك اعتماداً على علماء من سكان الجزيرة أنفسهم، ومما سمعه من أفواه أولئك السكان الذين عاش بينهم وخالطهم، وامتزج بهم لأنه واحد منهم، ولهذا جاءت معلوماته التي وصلت إلينا من أقوى المعلومات وأصحها، غير أن مما يؤسف له أن كل ما سجله من معلومات لم يصل إلينا حتى الآن.

وهذا الكتاب حافل بسيرة أبي علي الهجري، فكشف الجاسر اللثام عن مكانة هذا العالم الكبير الذي أهمله أصحاب التراجم، فلم يذكروا عنه إلا أقلّ

---

(1) دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض د.ت ٤٤٣ صفحة ١٤×٢٠.

القليل، وقد جعله في قسمين الأول: وفيه الحديث المسهب عن موطنه وعمّن تلقى عنهم، وعن الـرواة الذين يكثر النقل عنهم، وبعض من أخذوا عنـه من علماء المشـرق والمغرب، وعنايـة علماء الهنـد بالهجـري، والحديـث عن مؤلفاتـه وماذا بقي منها[١].

القسـم الآخر وفيـه الحديث المطول عن أبحاث الهجـري في تحديـد المواضع، وأورد الجاسر طائفة من أسماء المواضع مرتبة على حروف المعجم مما ورد عن الهجري من إيضاح لتحديد مواقعها، وهي مذكورة في ثلاثة كتب: التعليقات والنوادر للهجري، ومعجم ما استعجم للبكري، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للمسهودي[٢].

ثم جاءت الفهارس المفصلة، فأخطاء الطباعة[٣].

* * *

(١) أبو علي الهجري، ص١٣ ـ ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٥ ـ ٣٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠٠ ـ ٤٤٣.

أدب الخواص

في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها للوزير المغربي[1]

يعد هذا الكتاب ـ إذا صح أن مؤلفه تمكن من إكماله وفق الخطة التي رسمها في مقدمته ـ من أوسع الكتب التي أُلفت في الشعر العربي من حيث الاختيار والجمع، وذكر تراجم مشاهير الشعراء مع أخبار القبائل وأنسابها، ولم يصل إلينا سوى الجزء الأول من الكتاب، ويتصف بالأصالة والاستيعاب، فهو يحوي معلومات قد لا نجدها في غيره من الكتب، تتعلق باللغة والأدب والشعر، فيها طرافة وفيها جدة وفيها أصالة، وهو يجمع بين النصوص الشعرية والنثرية، وهو من كتب الأمالي التي تخلط النصوص الأدبية بعدد من المعارف الأخرى في اللغة والنسب والتاريخ.

بدئ الكتاب بمقدمة للمؤلف جاءت في ست وعشرين صفحة[2]، ثم فصل في اشتقاق (العرب) وعدّ منها ثلاثة عشر قولاً، ورأى أن العرب سميت بهذا الاسم لإفصاحهم باللغة وإيضاحهم سبيل البلاغة. وذكر تفسير جزيرة العرب وحدودها، وأتبعه بتفسير بقية الأسماء العربية للحاجة وأولها الأحد، فالاثنين.. فالسبت[3]، ففصل في اشتقاق اللغة، وعدّ ستة أقوال في

---

(١) أعدَّه للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ٢٠٥ صفحة، ١٧×٢٤، مقدمة الجاسر ٤٩، صور المخطوطة ٥٠ـ٥٧، النص ٦١ـ١٥٢، الفهارس ١٥٥ـ٢٠٥.

(٢) أدب الخواص، ص٦١ ـ ٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨٧ ـ ١١٥.

اشتقاقها[1]، فالقسم الأول: في ذكر الشعراء المراقسة، وفيه ذكر امرئ القيس الأكبر، وتفصيل الحديث عن لفظة امرئ القيس من طرق النحو واللغة، وعن نسبه، وهو المقدم على جميع المَرَاقِسة وبه ختم الكتاب.

عمل الجاسر:

كتب مقدمة طويلة للكتاب في (٦٠) صفحة، وفيها تحدث عن الكتاب والمؤلف ومؤلفاته وشعره، ووصف المخطوطة المحفوظة في المكتبة العامة في مدينة بورصة التركية.

وضبط الجاسر ما رآه محتاجاً للضبط من الكلمات، ونبه على بعض الكلمات الغامضة، وترجم بعض الأعلام، ولم يخرج الأبيات والأقوال على ما درج عليه علماء التحقيق المحدثون، ولعل ذلك داخل ـ في نظره ـ في إطار الإطالة، ولم يخف أسفه بأنه لم يتمكن من قراءة بعض الكلمات لغموضها في النسخة المصورة، وهي قليلة أشار إليها بعلامة الاستفهام (؟) وصنع فهارس مفصلة للكتاب.

* * *

---

(١) المرجع السابق، ص١١٧ ـ ١٢٦.

أصول الخيل العربية الحديثة[1]

يعد هذا الكتاب الجزء الثاني لمعجم أسماء الخيل، وهذا الكتاب من أول المؤلفات وأوثقها في أصول الخيل العربية الحديثة، ويشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث، كل مبحث فيه ثلاثة فصول.

حوت المقدمة المصادر التي عوّل عليها الجاسر في كتابه، وذكر محتوياتها وهي ستة عشر مصدراً، أهمها كتاب (أصول الخيل) الذي جُمع من قبل باحث أو عدد من الباحثين من أتباع عباس باشا أحد أفراد أسرة محمد علي باشا التي حكمت مصر فترة من الزمن[2].

ثم خرج من هذا للحديث عن العناية بشؤون الخيل خاصة في عهد الملك عبد العزيز وأولاده، وتلى ذلك المبحث الأول وفيه ثلاثة فصول الأول: أصول الخيل الحديثة وصلتها بالأصول القديمة، وتطرق إلى حفاظ العرب على أصالة خيلهم في طرق يتبعونها، وأشار إلى بعضها، وسمى أصول الخيل الخمسة[3].

الفصل الثاني: استقرار تلك الأصول في بلاد نجد مقر القبائل التي تملكها، وأوضح أن المتتبع لتاريخ الخيل عند العرب يجد أن أعرقها أصالة هي الخيل النجدية، وأن جلّ فرسان العرب الأقدمين من أهل نجد[4].

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٤١٥هـ، ٥٨٥ صفحة، ١٧×٢٤.

(٢) أصول الخيل، ص١٣ ـ ٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص٦٥ ـ ٨٠.

(٤) المرجع السابق، ص٨١ ـ ٨٤.

الفصل الثالث: تأثّر تلك الأصول، وخلص إلى أن أصول الخيل القديمة كثيراً ما تتأثر بالتهجين أي باختلاطها بأصولٍ غير عتيقة، وذكر أسباباً لا يتسع المجال لذكرها.

المبحث الثاني وحوى ثلاثة فصول الأول: ذكر القبائل التي تحتفظ ببعض الخيل مرتبة على حروف المعجم، فذكر أسماء أشهر القبائل التي لا تزال إلى عهد قريب تحتفظ بخيل عريقة الأصل، مشيراً إلى ارتباط هذا الاحتفاظ بجذوره القديمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وعددها (٣٤) قبيلة(١).

وانتقل إلى الحديث عن (الخيل عند الحضر) فأبان أن اقتناءهم الخيل من قبل الأُبهة والمباهاة والترف، وأن من يعني بتربية الخيل من الحضر إما أن يكون ذا صلة بالأمراء والحكام أو برجال البادية، إذ الحوافز التي تدفع إلى تربيتها مفقودة لدى من استقر في المدن والقرى(٢). وفات الجاسر أن يقول إن العناية بها قد تكون من أجل المقامرة في سباق الخيل، وذلك شائع في العراق ولبنان.

الفصل الثاني: ذكر خيل الملوك والحكام من تلك الأصول، فذكر خيل آل سعود وآل رشيد في السعودية، وخيل آل سعيد سلاطين عُمان، وخيل آل ثاني حكام قطر، وخيل آل خليفة حكام البحرين(٣).

الفصل الثالث: انتقال أصول الخيل إلى الحكام والسلاطين من تلك الأصول وغيرهم في بعض الأقطار، وتحدث عن انتقال أصول الخيل من الجزيرة العربية إلى الأقطار العربية، واهتمام تلك الأقطار بالخيل، وأحصى عدد الخيل في أكثر الأقطار العربية، وختم الفصل بانتشار الخيل العربية في أقطار العالم(٤).

---

(١) أصول الخيل، ص٩٢ ـ ١٤٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٧ ـ ١٥٣.
(٣) المرجع السابق، ص١٥٤ ـ ١٧٦.
(٤) المرجع السابق، ص١٧٧ ـ ٢٠٨.

المبحث الثالث وفيه ثلاثة فصول. الأول: ذكر الأصول مرتبة على حروف المعجم مع تفصيل ما يتعلق بها من إيضاح وشرح وذكر فروعها. استهلّه بمقدمة في إيضاح كلمات يكثر ورودها في الكلام على الخيل رتَّبها على حروف المعجم وعن صيغ النسبة التي تستعملها العامة ولا تتفق مع القواعد العربية، وذكر بعض الأمثلة، ثم أورد الأصول مرتبة ترتيب المعجم (واعتمد أبو وأم) وعددها (١١١١) أصلاً[١]، وهذا أطول فصول الكتاب، ويتفاوت التعريف بها بين الطول والقصر.

الفصل الثاني: ذكر أسماء بعض الخيل المشهورة في هذا العصر والذي قبله، وعلّل صعوبة معرفة أسماء خيل العرب المشهورة في عصورهم الأخيرة بكثرة هذه الخيل وعدم وجود مصادر عنيت بتدوين تلك الأسماء وذكر أخبارها وأسماء فرسانها، فقدم الجاسر ما تيسّر له جمعه من أسماء الخيل، سواءً عرفت نسبتها إلى أحد الأصول أم لم تعرف، ورتبها ترتيب المعجم وعددها (٢٠٩)[٢].

الفصل الثالث: ذكر الأعلام التي تنسب إليها بعض أصول الخيل أو فروعها، فعدّ من نسبت إليهم بعض أصول الخيل أو فروعها، (أرسانها) من قبائل وأفراد، ورتبها على حروف المعجم وعددها (١٥٩)[٣].

* * *

---

(١) أصول الخيل، ص٢١٥ ـ ٤٦٨.
(٢) المرجع السابق، ص٤٦٩ ـ ٥٥٠.
(٣) المرجع السابق، ص٥٥١ ـ ٥٨٥.

إطلالة على العالم الفسيح بين الشرق والغرب
(٣) من رحلات حمد الجاسر[١]

هذا هو الكتاب الثالث من رحلات حمد الجاسر التي كانت إلى الغرب ألمانية والنمسة وهولندة وإنكلترة، وسويسرة وإيطالية وفرنسة وإسباينة ورومانية وتشيكوسلوفاكية وإلى الشرق: اليابان وتايوان (الصين الوطنية) وهونغ كونغ أو هنق كنق (كما يكتبها الجاسر)، والفلبين وسنغافورة وماليزية، وتايلند (سيام) والهند والباكستان.

وهو لم يقصد زيارة تلك البلاد لمعرفة أحوالها أو مشاهدة ما تختص وتتميز به من مظاهر، إنما قصد تحقيق رغباتٍ خاصة إما للاستفادة بما تحويه خزائن كتبها العامة التي تعنى باقتناء المؤلفات العربية بما يتمكن من الاستفادة مطالعة أو اقتناءً بالتصوير، وإما مراجعة من نُصح بمراجعته من الأطباء للعلاج. وهذا الكتاب تسجيل بعض ما خطر له في أثناء أسفاره ومروره بتلك البلاد التي تحدث عنها، فهو يصوّر طرفاً مما شاهده من مظاهر بعض المدن وما يتصف به سكانها من خصائص مميزة بالنسبة لما يعرفه عن غيرهم والأسفار أيّاً كانت، وإلى أي جهة من جهات العالم هي من أقوى الوسائل لتوسيع مدارك الإنسان، وتفتح ذهنه باطلاعه على أحوال أناس يجهلهم، ومشاهدته بلاداً تختلف بطبيعتها عن البلاد التي عاش فيها، وفوق ذلك كله استزادته من معرفة أشياء كان يجهلها، مع ما يضاف من إمتاع النفس بما قد يمنحها كثيراً من الصحة والنشاط، ومن إنعاش نفسه بما يستمتع به من جمال مظاهر الكون وطبيعة البلاد وتغيّر البيئات.

---

(١) منشورات مجلة العرب، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ٣٨٢ صفحة، ١٧×٢٤.

الجاسر اعتاد الحديث عند زيارته المدن وَصْفَ ما اطلع عيه في خزائن كتبها من نوادر المخطوطات والمطبوعات، ويصور بعضها ويبرز قيمتها[١]، فقد تحدث عن مخطوطة المسالك والممالك للبكري والمجموع الموجود في المكتبة العامة بڤيينّا[٢]، حيث وصف ست مخطوطات وص٢٤ ـ ٣٢ حيث وصف بعض المخطوطات التي اطلع عليها[٣]، وللقارئ أن يتصور مدى المشقة التي كان يكابدها الجاسر في أثناء اطلاعه على المخطوطات في خزائن كتب الغرب، فالجاسر لا يعرف من اللغات سوى العربية، وأكثر العاملين فيها يجهلون العربية، ومعاملتهم فيها قسوة وقلة أدب أحياناً، فتأمل نهمه بالمخطوطات وهو لا يعرف مخاطبة القائمين عليها لأنه لا يعرف إلا العربية[٤].

ونراه يزور خزانة كتب الجامع الكبير في بومبي بالهند عندما قيل له إن فيه مخطوطات فيصف بعضها، ويفعل المستحيل للحصول على تصوير إحداها، ويشير إلى إرسال بعثة لتصوير ما في تلك الخزانة من المخطوطات المهملة[٥].

وهو يرشد الطلاب العرب هناك إلى بعض المصادر التي يحتاجونها في بحوثهم[٦]، ويهدي الكتب التي ألفها وحققها لمن يعرف[٧]، ويحمل معه مجلة العرب ليديها من تنقصه بعض أعدادها[٨].

ومن أريحية الجاسر وكريم خلقه استفساره عن أصدقائه الذين طالت

---

(١) إطلالة على العالم، ص٣٤.
(٢) إطلالة على العالم، ص٤٥ ـ ٥٢؛ وانظر ص٨٠ ـ ٨٥.
(٣) وقد يطيل في الحديث عن الكتاب والمؤلف، ص١٨٠ ـ ١٨١.
(٤) إطلالة على العالم، ص١٤٤، ١٤٦، ١٧١، ١٨٧، ١٨٨.
(٥) إطلالة على العالم، ص٢٩٧ ـ ٢٩٩.
(٦) إطلالة على العالم، ص١٣٨.
(٧) إطلالة على العالم، ص١٩٨، ٢٢٩.
(٨) إطلالة على العالم، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

أخبارهم عنه، كاستفساره عن العلامة عبد العزيز الميمني عندما لقي بعض الهنود والباكستانيين[1].

وقد يطيل النفس في ترجمة بعض العلماء عندما لم ير ـ فيما اطلع عليه ـ من وفّاه ترجمته انظر، ص١٤٧ ـ ١٤٨ حيث أطال النفس في ترجمة ابن قائد، ويُستشف منه كرهه اليهود واعتزازه بعروبته ودينه، فهو عندما نزل فندق ديوك هوتيل في نيويورك، شاهد العلم الإسرائيلي فوق الفندق فطلب من أحد رفاقه في الرحلة الاتصال بإدارة الفندق لإنزال العلم الإسرائيلي أو خروجه منه إلى فندق آخر، فكان خروجه، ص٦٣، ويحضر مؤتمراً للدراسات الإسلامية بجامعة السربون أداره مستشرقون يهود، فيضيق بالمؤتمر ويغادره لأن الأبحاث المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية لم تلق بالعربية التي كانت أساساً لتلك الأبحاث، ص٢٢٤، ويحزّ في نفسه إهمال المسجد الأثري في مجريط (مدريد) ويتحدث مع د. أحمد العبادي مدير المركز الإسلامي فيها عن ضرورة العناية به.

ويتحدث عن أريحية من يلقاه ويقدم له خدمة، ويحترم ويقدر عارفيه ويعمل على عدم شغلهم، ولهذا يتحاشى في كثير من الأحيان زيارة كثير منهم، ويتحدث عن المبالغة في نظافة المدن الأوروبية ونزاهة أهلها[2].

ويتكلم عن أخطاء المستشرقين ص١٣٣ ويسجل ما لهم وما عليهم ٢٢٥ ومن طريف ما في هذا الكتاب أنه يقول النكتة على نفسه ٩٧، ١٨٩ ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٤ ـ ٢١٥، بل نراه يقول عن نفسه: إنه جبان ١٠٥، والجاسر يستشهد بالقرآن، والأمثال فصيحة وعامية، أما الشعر فكثير ما يستشهده به، وتبرز بعض صفات الجاسر في هذا الكتاب، فهو ممن لا يتحمل المعروف من كل أحد، بل يتحاشى أن يحمل فضل كل مفضل ٢٨٤ ويغلب عليه الانقباض وعدم الرغبة في مخالطة الناس، ويفضل الوسط في أموره كلها.

---

(١) إطلالة على العالم، ص٢١٦، ٢٢٠.

(٢) إطلالة على العالم، ص٧٢، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٥٠، ٣١١.

وفي ختام الكتاب ٣١٤ ـ ٣٤٠ يعرض أمثلة لما عاناه من بعض الأطباء وسوء معاملتهم وجهلهم في الوطن العربي وأوروبة وأميركة، وينصح الطبيب إلى أن يكـون حكيماً في معاملتـه، متوخياً لمراعاة أحوال الناس في أخلاقهم ومشاعرهم ولمختلف طباعهم. ولأمرٍ ما أطلق العرب على الأطباء لقب الحكماء دون غيرهم.

* * *

الأماكن
أو
ما اتفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة[1]

للإمام الحافظ محمد بن موسى الحازمي

الجزء الأول (أ ـ ض) ٦٣٢ صفحة الجزء الآخر (ط ـ ي) ٤٩٠ صفحة ٦٣٢ ـ ١١٢٢ مقدمة الجاسر ٣٠ص + نص الكتاب ٣١ ـ ٦١٦ وفهرس الجزء الأول ٦١٧ ـ ٦٣٢ ، وتكلمة نص الكتاب ص٦٣٥ ـ ٩٣٦ ، فالفهارس العامة ٩٣٧ ـ ١١١٦ ، فالأخطاء المطبعية .

إن كل باحث في ضبط أسماء الأماكن القديمة الواردة في الأخبار أو الأشعار تعترضه مشكلة التصحيف والتحريف في كثير من الأسماء ، وهي مشكلة عالجها متقدمو العلماء فيما ألفوه من معجمات الأمكنة كالبكري في كتابه (معجم ما استعجم) ، وياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) ، غير أنهما وقعها فيما حاولا البعد عنه. أما نصر الإسكندري في كتابه (الأمكنة والمياه والجبال والآثار) ، والحازمي في كتابه هذا فمع عنايتهما القوية ، لم يخل كتاباهما بوقوع شيء من ذلك ، غير أنه يسير بالنسبة لغيرهما ، ولعل مرد ذلك إلى أنهما لم يعيدا النظر في كتابيهما .

وهذا الكتاب كما ذكر مؤلفه : «كتاب أذكر فيه ما اتفق لفظه وافترق مسماه

(١) أعده للنشر حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض ، ١٤١٥هـ ـ جزآن ١١٢٢ صفحة ١٧×٢٤ .

من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة، والمواضع المذكورة في مغازي رسول الله ﷺ وسراياه، وقطائعه، ومغازي أصحابه والولاة بعدهم مرتباً على حروف المعجم. وربما أشير إلى ذكر بعض البقاع المأثورة في أيام العرب ووقائعها من غير استقصاء لذلك وإسهاب، لِعُزوبه عن غرض الحديثي، وإنما أذكر منها ما له مدخل في الأخبار واتصال بالأمكنة المأثورة في الحديث، ليكون أبعد من الخبط، مشيراً إلى ذكر استشهادٍ، إما من الشعر وإما من ذكر إمامٍ ينسب إلى الموضع»[١].

غير أن المؤلف لم يقتصر على ذلك، بل أورد أسماء مواضع كثيرة لا تدخل فيما ذكر، وظهر أن مؤلفه توفي قبل إكمال كتابه هذا، وقبل أن يضع له اسماً، ولهذا اختلفت عناوينه في المخطوطات.

ومن أمثلة ما جاء في الكتاب: باب أُبُلَّةَ وأَيْلَةَ وأَثْلَةَ. أما الأول بضم الهمزة والباء المعجمة بواحدة وتشديد اللام: فالبلد المعروف قرب البصرة[٢].. وأما الثاني بفتح الهمزة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها، وتخفيف اللام فهي بلدة بحرية أيضاً، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وينسب إليها جماعة من المتقدمين نحو يونس بن يزيد الأيلي، وعُقيل بن خالد وغيرهما.

وأما الثالث على وزن ما قبله غير بدل الياء ثاء مثلثة: موضع حجازي من ناحية المدينة قال قيس بن الخطيم:

بل ليت أهلي وأُهل أَثْلَةَ في دارٍ قريب من حيث نختلف

وما جاء فيه ص١١١: باب بَدْر وبَدَر. أما الأول: بعد الباء دال مهملة ساكنة: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل الصفراء.. وبه كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفَرَق بين الحق والباطل.

---

(١) الأماكن، ص٣٢.
(٢) الأماكن، ص٣٣.

وأما الثاني: بعد الباء المكسورة ذال معجمة مشددة مفتوحة: بئر قديمة كانت بمكة . . .

وقد حوى الكتاب تسع مئة باب وبابين رتبت على حروف المعجم، وخصص المؤلف لكل حرف كتاباً أورد فيه الأسماء المبدوءة بذلك الحرف مع ما يثنيها أو يثلثها من الحروف مرتبة أيضاً مقرونة بما يشابهها في صورة الكتابة مشروحة محددة من (كتاب الهمزة) إلى (كتاب الياء)(١).

طريقة الجاسر في التحقيق:

١ ـ حاول أن يقدم كتاب الحازمي بالطريقة التي يستفيد منها الباحث في الموضوع الذي خصص له، ولهذا رجع إلى كتاب نصر الإسكندري (الأمكنة والمياه والجبال والآثار) فقابل بين نصوص الحازمي وبين نصوصه، ورجع إلى (معجم البلدان) الذي حوى جلَّ نصوص الكتابين، فوفر للباحث الاطلاع على الكتب الثلاثة.

٢ ـ بذل ما استطاع ليصحح ما اتضح له من خطأ في تلك النصوص بالرجوع إلى ما تمكن من الإطلاع عليه من مصادرها، وما اطلع عليه من أقوال متقدمي العلماء.

٣ ـ حاول تحديد المواضع تحديداً قد يمكن الباحث من معرفة مواقعها، إذ أن كثيراً من تعريفات القدماء لا تهيِّئ ذلك كأن تنسب إلى سكانها من القبائل العربية القديمة التي جهلت الآن، أو أن توصف بوقوعها بين مكانين متباعدين كأن يقال: (في الطريق من البصرة إلى مكة).

٤ ـ توسع فيما يتعلق بمواضع الجزيرة العربية لورودها في كثير من

---

(١) كأن يقول: «كتاب الهمزة باب أُبُلَّةَ وأَيْلَةَ وأَثْلَة» ثم شرح هذا، وسار على هذا المنوال في بقية أبواب الكتاب من حيث الترتيب إلى آخر كتاب الياء: (باب يَبْعُثَ ويَثْقُبَ).

النصوص القديمة من أخبار أو أشعار، أما المواضع الأخرى خارج الجزيرة فلم يتعرض لتحديدها لأنها حظيت بدراسات واسعة منذ عهود قديمة، وخلاصة عمله أنه كتب حواشي فاقت مادة الكتاب كثيراً، وقد أوفى الغاية في تحقيقه كعهده دائماً.

وقد تحدث في المقدمة عن الحازمي ومؤلفاته، وفصل القول فيها ووازن بين كتاب الحازمي، وكتاب نصر الإسكندري، وعرج على موقف ياقوت الحموي من كتاب الحازمي، فذكر أن ياقوتاً ـ كعادته فيكثير مما ينقل ـ ينقل عن كتاب الحازمي فيصرح باسمه آونة، ويهمل الاسم كثيراً، وأبان أن ياقوتاً كان متحاملاً على الحازمي، وقد تدفعه شدة تحامله على الحازمي على تخطئته فيما سبقه إلى القول به نصر الإسكندري، وفيما قد لا يكون أخطأ فيه، وأورد أمثلة من ذلك، وأوضح طريقته في التحقيق، وختم المقدمة بوصف مخطوطتي الكتاب وهما مخطوطة مكتبة (لا له لي) في إستانبول ورقهما (٢١٤٠)، ومخطوطة (ستراستبورج) ورقمها (١٧٩).

صنع فهارس شاملة مفصلة للكتاب وعددها تسع فهارس ص٦٣٩ - ١١١٦ ثم أتبعها بالأخطاء المطبعية ص١١١٧ ـ ١١٢٢.

* * *

الإيناس في علم الأنساب[1]

للوزير المغربي

موضوع هذا الكتاب مما يستهوي المهتمين بأكثر فروع العلم كاللغة والأدب والتاريخ، وقد استحسن مؤلفه صُنع محمد بن حبيب في كتاب (المؤتلف والمختلف) ووجده قد لَحَبَ له سبيلاً، فأراد إكمالها وإيضاحها بتأليف هذا الكتاب الذي وصفه بأن الأديب المتوسط الرتبة في الأدب، إذا صرف إليه جانباً من عنايته أمن التصحيف في جميع الأسماء العربية بتوفيق الله.

ولم يخلُ الكتاب من لمعة ثاقبة، وأبيات شعر مُسْتَحسنة، يتصيَّد ذكرها بالأسماء المتصلة بها، فكأنه أدرك جفاف أسلوب ابن حبيب المقتصر على سرد الأسماء وضبطها، كما أدرك عدم شمول كتابه لما أُلِّف في موضوعه، فعالج هذين الأمرين، فأربى كتابه هذا على كتاب ابن حبيب بغزارة المادة بما حواه من أخبار وأشعار، وإن قاربه من حيث عدد الأسماء المضبوطة التي بلغت عند ابن حبيب (٣٠٥)، وفي كتاب ابن المغربي نحو (٣٦٢).

والمعلومات التي أضافها ابن المغربي إلى كتاب ابن حبيب لا تتوفر لنا في غيره من الكتب المنشورة بين أيدينا، فقد رجع إلى مصادر منها ما لا يزال مجهولاً بالنسبة لنا، ومنها لم ينشر حتى الآن، ونجد في هذا الكتاب على اختصاره ما لا نجده في كتاب الإكمال لابن ماكولا ـ وهو مجلدات ـ على

---

(١) أعده للنشر حمد الجاسر. طبع مع كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب البغدادي، النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، (٢٧٩) صفحة ١٧×٢٤، المقدمة (٥١) صفحة، النص ص ٥٥ ـ ٢٧٩.

محاولة مؤلفه الاستيفاء وبلوغ الغاية في التوسع، ولعل هذا من أسباب عناية متقدمي العلماء بهذا الكتاب.

وموضوع هذا الكتاب ليس كما يفهم من عنوانه، فهو وإن تعلَّق بالأنساب من حيث تفريعها من أصولها، إلا أنه يُعنى بضبط الأسماء المفردة ضبطاً يمكّن من نطقها صحيحة، وتلك هي الغاية من تأليفه، فهو يعالج داءً لا يزال مستعصياً من أدواء الكتابة العربية.

وقد يكون هذا الكتاب أحسن مؤلفات ابن الوزير حظاً وأروجها. وحظوظ الكتب كحظوظ الناس، يصيبها ما يصيبهم من ذيوع أو خمول، فقد وجد عناية من بعض مشاهير العلماء المتقدمين بنسخة والاستفادة منه تدل على منزلته العلمية العالمية في نفوسهم، ومن هؤلاء الحافظ المنذري المحدث المؤرخ المعروف، وعن نسخته نقل ابن مكتوم نسخته التي وصلت إلينا، وفهم رضي الدين الشاطبي شيخ أبي حيان النحوي.

عمل الجاسر:

كتب الجاسر مقدمة للكتاب تحدث فيها عن الوزير ابن المغربي، وعن كتابه (الإيناس)، وعن مؤلفاته، وتحدث الحديث المفصل عن موضوع الكتاب وعناية العلماء به، ووصف النسخ المخطوطة للكتاب التي اطّلع عليها وهي ثلاث نسخ.

حاول الجاسر إخراج نسخة صحيحة من هذا الكتاب، وَفْق ما وضعه مؤلفه فاكتفى بمقابلة النسخ، وبضبط الأسماء كما ضبطت فيها، وبإيراد جميع الحواشي التي تمكّن من قراءتها.

* * *

باهلة.. القبيلة المفترى عليها(١)

باهلة بنت صعب من مذحج أم جاهلية يمانية، من كهلان. نسب إليها بنوها من زوجها مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، كانت منازلهم باليمامة، وتناقل الناس أن النسبة إلى باهلة حطة عند العرب يضربون الأمثال بلؤمهم:

لا تنفع الأنساب من هاشم   إن كانت الأنفس من باهلة

وفي هذا الكتاب دفع الجاسر الظلم والحيف عن قبيلة باهلة، فبعض المؤرخين والعلماء قدماء وعصريين تناقلوا أن باهلة من أخس القبائل ومن أحطّها منزلة، فمن القدماء: أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى، والمبرد، والثعالبي، وابن خلكان، والذهبي. ومن العصريين: الدكتور جواد علي، وعباس العزاوي، وعلي الطنطاوي، والزركلي، ومحمد بهجة الأثري (ولكل عالم هفوة).

فما الاقتداء بالكثرة في البحث عن تمييز الأمور، ومحاولة إدراك الأشياء سوى تعطيلٍ لأعظم ما أنعم الله به على الإنسان، وهو عقله الذي به يتضح الحق من الباطل ويميز النافع من الضار، وما تعطيل العقل سوى إهدار لكرامة الإنسان الذي فضّله الله على سائر الحيوان، فالحق لا يدور دائماً في جانب كثرة الخلق.

---

(١) كتب على طرته: ليس دفاعاً عن كرامة قبيلة فحسب، بل عن الأمة كلها بإيضاح جوانب عن تغلغل الكذب والأباطيل في تاريخها لتشويهه. دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م (٧٢٦) صفحة ١٧×٢٤.

بذل الجاسر ما استطاع من جَهْد في البحث والاستقصاء في الجانب المظلم من تاريخ هذه القبيلة لدفع الفرية عنها، فتحدث في المقدمة (٩ ـ ٣٨) عن موضوع الكتاب، وموقف الشعوبية من العرب، وسبب تأليف الكتاب، وعن باهلة قبل الإسلام (٣٩ ـ ٤٤)، وعن نسبها (٤٥ ـ ٨١)، وفروعها في الوقت الحاضر (٨٢ ـ ١٠٣). ورتّبها على حروف المعجم، وعرّج على بلاد باهلة قديماً، وأورد أسماء المواضع المنسوبة إلى قبيلة باهلة فيما اطّلع عليها من المؤلفات رتبها ترتيب المعجم.

ومن دراستها بتعمق يتضح للباحث أن تلك القبيلة كان لها من القوة والانتشار ما أحلَّها مكانة بارزة بين قبائل الجزيرة (١٠٤ ـ ١٨١)، وأتى على ذكر خصب بلادها ومعادنها (١٨٢ ـ ٢٠٣)، وبيّن أن باهلة احتلّت أجود البلاد تربة، وأغناها ثروة معدنية مما دلّ على منزلتها الاجتماعية العالمية، ثم أبان عن عراقة نسبها وعلاقتها مع القبائل الأخرى (٢١٩ ـ ٢٥٥)، وتكلّم عن فصاحة القبيلة وعن استشهاد اللغويين والنحويين بشعر باهلة ونثرها (٢٥٦ ـ ٢٦٣)، فعن مشاركة باهلة في الفتوحات الإسلامية ومآثرها في ذلك (٢٦٥ ـ ٢٦٦) ولو لم يكن منها سوى ما قام به قتيبة بن مسلم لكفاها شرفاً وفخراً.

ثم ذكر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من باهلة (٢٦٧ ـ ٢٨٦)، وسمّى منهم واحداً وثلاثين صحابياً رتّبهم على حروف المعجم، فالعلماء من باهلة (٢٨٨ ـ ٣٧٢)، وعدّ منهم نحو سبعين عالماً ورتّبهم على حروف المعجم، فالأمراء والقادة والولاة وذوي المناصب (٣٧٣ ـ ٤٨٣)، وسمى منهم اثنين وثمانين أميراً وقائداً ووالياً، ورتّبهم ترتيب المعجم، فشعراء باهلة وأشعارهم (٤٨٤ ـ ٥٨٢)، وعدّ منهم سبعين شاعراً منهم أربع شواعر رتّبهم على حروف المعجم.

ثم تحدّث عن المثالب (٥٨٣ ـ ٦٤٢)، فما زالت الأشراف تهجي وتمدح، ويتساءل: لماذا كان لباهلة النصيب الأوفر؟ فيجيب أن أعنف الوسائل

وأعمقها تغلغلاً في النيل من باهلة هو الشعر، فللشعر سيرورته وسهولة انتقاله في كل زمان ومكان، وهو أداة لا يستغني عنها أيّ معنيّ بجانب من جوانب الثقافة من العلماء واللغويين والفقهاء بَلْهَ الأدباء والشعراء الذين لا تجهل مكانتهم على اختلاف أنواعها، ولهذا كان الباب الواسع الذي سهّل الدخول منه لثلب تلك القبيلة بما ليس فيها لكل من رام ذلك.

ولعلّ أنكى ما جاء في تلك المعايب ما ورد في شعر الفرزدق عن هذه القبيلة، بل لعله هو الذي فتح باب الهجاء ثم انضم إليه صاحبه الأخطل، وهما من فحول الشعراء، وشعرهما له السيرورة والانتشار ما ليس لكثير من الشعراء غيرهما، على أن الفرزدق لم يقف هجوه على قبلية باهلة، بل شمل كثيراً من قبائل العرب.

ثم تطرّق لجذور الأفكار الشعوبية (٦٤٣ ـ ٦٥٣)، ثم ذكر العلماء الذين تناولوا قبيلة باهلة بما هي بريئة منه (٦٥٤ ـ ٧٠٧)، فالحديث عن صلة باهلة بالقبائل الأخرى في العهد الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الوقت الحاضر (٧٠٨ـ ٧٢٣)، فالخاتمة (٧٢٤ـ ٧٢٦)، وهي خاتمة الكتاب ومما جاء فيها:

«قد يؤخذ علي التوسع في إبراز جوانب هي من السوء أولى بالستر، ومن التفاهة أحق بأن تطرح، ومن مخالفة الحقيقة أجدر بألاّ تذكر، ولكن عذري ـ فيما أقدمت عليه ـ أنني حرصت لنيل ثقة من يتوخّى الحقيقة في دراسة تلك الجوانب، ليجدني سائراً على النهج الحميد كما قال الإمام العابد الورع أبو عبد الرحمن السُّلَّمي: أهل السنّة يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل البدعة لا يكتبون إلاّ ما لهم، وما أخال كل امرئ منصف إلا سائراً على ذلك النهج الذي لا طريق لبلوغ الصواب سواه».

ولولا خشية الإطالة لنقلت الخاتمة برمتها فهي في غاية النفاسة.

* * *

البرق اليماني في الفتح العثماني

لقطب الدين النَّهْرَوَالي[1]

هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ جنوبي الجزيرة العربية في القرن العاشر الهجري، فهو يفصِّل بدء غزوات اليمن من الخارج منذ القرن العاشر الهجري، ومحاولة الجراكسة ثم الأتراك الاستيلاء على بلاد اليمن، ثم عجزهم عن ذلك، ويتضمن مجمل تاريخ اليمن من أول القرن العاشر إلى آخر سنة ٩٧٨هـ، ويفصّل ما قامت به الدولة العثمانية من أعمال حربية عنيفة للاستيلاء على اليمن، وفي آخر الكتاب وصف موجز لغزو العثمانيين أطراف البلاد التونسية في شهر جمادى الأولى سنة ٩٨١هـ.

والكتاب يحوي وثائق تاريخية هامة، فهو يضم في طياته لمحات تاريخية واجتماعية، وهو مسجوع غير أن سجع الكتاب ليس من المملّ العسر الفهم الذي يحوج الرجوع إلى المعجم كثيراً، وقد أُلِّف هذا الكتاب في الوقت الذي بدأت اللغة التركية أول ما بدأت تتسرّب إلى اللغة العربية، وجاء أهلها بأشياء جديدة ليس لها مسميات معروفة عند العرب كالرتب والألقاب وبعض أنواع الأسلحة والأطعمة والألبسة.

ومؤلف الكتاب ـ وإن كان يجيد العربية ويحسن التركية والفارسية ـ لم يكلف نفسه عناء تعريب كثير من الكلمات التركية التي استعملها، والتي بقيت

(١) أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، (٦٢١) صفحة ١٧×٢٤.

مستعملة إلى أول القرن الذي نعيش فيه ثم ماتت، والكتاب ـ من هذا الناحية ـ يفيد المعنيين بالدراسات اللغويـة، ويفيد المهتمين بمعرفة تطوّر الأسـلوب العربي في الكتابة في ذلك العهد.

وقد رتّب المؤلف الكتـاب على مقدمة وثلاثـة أبواب وخاتمة. الباب الأول: في ذكر ملك اليمن من أول القرن العاشر إلى زمن الفتح العثماني (١٥ ـ ٦٨)، وفيه ثلاثة عشر فصلاً. الباب الثاني: في ابتداء الفتح العثمـاني (٦٩ ـ ٢٠٨)، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً. الباب الثالث: في الفتح العثماني على يد سنان باشا (٢٠٩ ـ ٤٥٧)، وفيه ستون فصلاً.

وقد ألفه مؤلفه استجابةً لرغبة سنان باشا فاتح اليمن وسمّاه في أول الأمر: الفتوحات العثمانيـة للأقطار اليمنيـة، وأهداه إلى السـلطان سليم، ثم زاد فيه زيادات يسيره وسمّاه: البرق اليماني في الفتح العثماني، وأهداه إلى السلطان مراد بن سليم.

وأُخذ على المؤلف مبالغاته في مدح مَنْ مدَحهم استرضاءً وتزلفاً، وفي ذم من ذمّهم انجرافاً وراء العاطفة، ومبالغة في الاسترضاء والتزلف.

عمل الجاسر:

كتب مقدمة طويلة للكتاب جاءت في ثمانين صفحة، أفاض فيها الحديث عن المؤلـف، ولما كان للنهروالي ارتبـاط وثيق بتاريخ الدولـة الإسلامية في (كجرات) وهو الإقليم الذي تقع فيه بلدة (نهرواله) التي يُنسَـب إليها، وفيها عاش أهله مئات السنين، أورد الجاسر نبذة عن تلك البلدة وعن سـلاطينها، وتحدّث عن صلـة هذه الدولة بالبـلاد العربيـة، وتحدّث عن ثقافـة القطبـي ورحلاته، واحتراق بيته وكتبه، وعن مؤلفاته وشعره، وأوضح أنّ كثيراً من آرائه ضاع في حياته بسبب احتراق كتبه في مكة، وتحدّث عن مشاهير آل القطبي.

وتكلّم عن طريقـة تحقيق الكتاب ونشـره، وعن مخطوطات الكتـاب

والنسخ التي اعتمدها في التحقيق وهي أربع نسخ تحدّث عنها بتفصيل.

وكان عمله إخراج الكتاب بأوفى صورة أرادها المؤلف وأوضحها، فلم يثقل الكتاب بحواشي كثيرة على قاعدة: عدم الحاجة إلى الحواشي والاكتفاء بإبراز الكتاب بصورة هي أقرب ما تكون إلى صورته الأصلية.

ووضع جدولاً للكلمات الأعجمية من تركية وفارسية في أول الكتاب مما يكثر وروده في الكتاب يحتاج القارئ إلى فهم مدلولاتها، ووضح معانيها، وأضاف إليها بعض كلمات عامية استعملها المؤلف، وضبط أسماء المواضع ضبطاً يتفق مع ما في المؤلفات القديمة، وأشار في مواضع يسيرة إلى طريقة نطقها عند أهلها الآن.

* * *

بلاد العرب
للأصفهاني[1]

هذا الكتاب أثر من آثارنا القديمة يرجع إلى الربع الأول من القرن الثالث الهجري فما قبله، ولهذا الكتاب ميّزات أهمها:

١ ـ أنه يحدد أجزاء كثيرة من منازل القبائل العربية التي كانت تقطن وسط جزيرة العرب متجاورة، ويحاول أن يحصي ما لها من مناهل وجبال وأمكنة، مما يعين دارسي الأدب العربي في عصوره القديمة، وهذا مما لا نجده إلا في هذا الكتاب في عهدنا الحاضر.

٢ ـ أنه حوى أسماء كثيرة ومنها ما ورد في الشعر، مما لا نجده فيما بين أيدينا من المصادر.

٣ ـ ضم طائفة من المعلومات المتعلقة بالقبائل من أنساب وأسماء الشعراء، وكلمات لغوية، ينفرد بها عن غيره مما وصل إلينا، ومن أسماء المواضع ما بقي معروفاً في عهدنا، مما يضيف إلى معجمات الأمكنة معلومات لا تكمل بدونها ومن الشعراء ومن الشعر ما لا يوجد في غيره.

---

(١) تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م. (٥٢٧) صفحة عدا مقدمة الجاسر، وهي (٧٢) صفحة ليصبح المجموع (٥٩٩) صفحة، ١٧×٢٤، تخلّله بحث للدكتور صالح أحمد العلي عن جزيرة العرب للأصمعي ص١٠ ـ ٣١، الكتاب (٤١٧) صفحة، الفهارس (٤١٩ ـ ٥٢٧).

٤ ـ يصوّر لنا أول نهج سلك في تحديد المواضع تحديداً قام على أساس المشاهدة والخبرة الكاملتين.

٥ ـ يتضمن تفصيلات لا نجدها في غيره ـ من الكتب التي وصلت إلينا ـ عن معادن قلب جزيرة العرب، وهي معلومات على بساطتها لا يستغني عنها أي باحث في المجال الاقتصادي.

٦ ـ وأمر على جانب كبير من الأهمية هو أنه يذكر لنا المواضع التي تتفق في الاسم ولكنها تختلف باختلاف القبائل التي كانت تسكن تلك المواضع، وهذا من الأمور التي أوقعت اللبس والخطأ والخلط في تحديد كثير من مواضع الجزيرة، مما لا تمكن معرفته إلا بمعرفة من يسكنه من القبائل، وهذا مما لم ينتبه له كثير ممن كتبوا في تحديد منازل القبائل في جزيرة العرب ممن لم يدركوا أن الاسم الواحد قد يطلق على عدة مسميات.

وهذا الكتاب مرتبة مادته تبعاً للعشائر وفروعها، فهو يعدد العشائر ويذكر الفروع الصغرى لكل عشيرة ومياهها ومواطن سكناها، وهو يذكر فروعاً كثيرة من العشائر، لا يرد ذكرها في كتاب النسب الكبير لابن الكلبي ومن تابعه، ويذكر الأماكن التي كانت لكل فرع من فروع العشائر، فمعلوماته الجغرافية مرتبة تبعاً للسكان لا للمكان.

وقد قصر بحثه على الأحوال القائمة للعشائر، فلم يذكر تاريخ أيّ عشيرة ودورها التاريخي، ولم يشر إلى رجالها البارزين كما فعل أبو عبيدة في أيام العرب، أو ابن الكلبي ومصعب الزبيدي في كتابيهما في النسب. وهذا الكتاب قائم على الجماعات لا الأفراد، وعلى الحاضر دون الماضي، وعلى الأوضاع الطبيعية دون الإدارية، وعلى الجغرافية الطبيعية دون غيرها.

والكتاب واضح في تعابيره، بسيطة جمله، مألوفة كلماته،، مركز خالٍ من الحشو والتكرار، يذكر أحياناً مصادره التي استقى منها معلوماته، وهي أسماء أشخاص ينتمون في الغالب إلى العشيرة التي يذكر مواطنها ومياهها،

ولا يذكر شيئاً عن حياة هؤلاء الرواة وثقافتهم.

ويعد هذا الكتاب من أقدم ما كتب عن تحديد منازل القبائل في قلب جزيرة العرب، وهو في الوقت نفسه وثيق الصلة برواة وعلماء وشعراء من أهل تلك البلاد ممن يفوقون الأصمعي وأمثاله خبرة ودراية ومعرفة بمواضع الجزيرة وسكانها، ممن هم أساتذة الأصمعي وغيره ممن قاموا بتدوين أخبار أهل البادية وما يتصل بها من معلومات.

صنيع الجاسر في هذا الكتاب:

كتب مقدمة تحدّث فيها عن ميزات هذا الكتاب، وتحدّث عن مؤلفه، وأورد بحثاً للدكتور صالح أحمد العلي ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٧م لا من حيث تعلّقه بالموضوع، بل من حيث شموله، وعدّ العلي هذا المؤلَّف من مؤلفات الأصمعي (١٠ ـ ٣١)، أعقبه مباشرة فصل للجاسر بعنوان ليس هذا الكتاب للأصمعي، نفى فيه صحة نسبة الكتاب للأصمعي ورجح أنه من مؤلفات لُغْدَة ويقول: وهذا لا يمنع من القول بأن قدراً من معلومات هذا الكتاب رويت عن الأصمعي. كما سيأتي إيضاح ذلك ص٤٣.
وتحدّث الجاسر عن نهج الكتاب، وعن نسخه الخطية وهي خمس نسخ، أقدمها نسخة نعمان خير الدين الآلوسي (ت١٣٧) التي كتبت سنة ١٢٩٩ هـ، وأحدثها نسخة سليمان الدخيل، كتب سنة ١٣٣٦هـ. وعن إيضاحات حول نشره.

وهذا نهجه في تحقيق هذا الكتاب:

١ ـ قام بمقابلة النسخ ـ ماعدا نسخة الإنكرلي ـ واختار ما اتفقت النسخ عليه عند الاختلاف إلا إذا تبين له وجه الخطأ فيه، ولم يكثر الحواشي بإيراد اختلاف النسخ إلا في النادر. واتفاق النسخ يحمل على الثقة بها مما يقلل من أهمية الوصول إلى نسخ قديمة.

٢ ـ قابل أسماء المواضع على ما ورد في كتب المواضع .

٣ ـ بقيت أسماء كثيرة لم يجد الجاسر فيما بين يديه من المؤلفات لها ذكراً، فتركها كما وجدها دون ضبط ، ومنها ما لايزال معروفاً ـ في عهدنا الحاضر ـ بعد أن رجع إلى الكتب المعروفة وأشار إلى بعض ما ورد فيها ، سواء في تحديد المواضع أو في تعريف بعض أفخاذ القبائل وفروعها بطريقة موجزة إلا ما رأى في التفصيل فيه زيادة إيضاح من كتاب قد لا يكون معروفاً .

٤ ـ أورد مادة الكتاب بنصها ، دون وضع عناوين لها لكي يقدم النص كما وصل إلينا ، غير أن رغبة إيضاح المفردات دفعته إلى تجزئة بعض الجمل تجزئة قد لا يستسيغها كل قارئ .

٥ ـ حاول ـ بقدر الإمكان ـ أن يقدّم الكتاب بصورة واضحة ، فأضاف إلى بعض أسماء المواضع تعريفات موجزة بقدر الإمكان عن تحديدها ، وعن تغيير بعض الأسماء ، وأشار إلى الأسماء التي قد تطلق على مواضع متعددة ، إذ عدم التفريق بينها يوقع في الخلط والغلط في تحديد مواقع المواضع ، مما لم يسلم منه كثير من المتقدمين الذين كتبوا في هذه الموضوعات فضلاً عن المتأخرين .

٦ ـ وضع فهارس مفصّلة لأسماء المواضع والقبائل وغيرها مما قد يهيِّئ للقارئ الاستفادة من هذا الكتاب استفادة تامة .

٧ـ أما عن اسم الكتاب ، فالنسخ الخطية لا تتفق عليه . ولهذا جاء دون اسم في أقدم نسخة وصلت إلينا ، ولشهرة إطلاق اسم (بلاد العرب) لدى الباحثين المتأخرين رأى الجاسر إطلاقه على الكتاب ، وإن كان انطباقه عليه ليس صحيحاً من كل وجه .

* * *

بلاد يَنْبُع

لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة[1]

تقع بلاد ينبع قرب المدينة المنورة على ساحل البحر الأحمر، وعلى طريق قوافل قريش التي تتجه إلى الشام إبّان عصر النبوّة، وأصبح طريق الحج المصري يمر فيها، ولينبع شهرة كبيرة في كتب التاريخ في حوادث صدر الإسلام لوقوعها على طريق القوافل التجارية بين الحجاز وبين الشام ـ كما أسلفنا ـ ووقعت فيها أو بقربها غزوات منها العُشَيْرة وبُواط، ومنها عرف التاريخ عدداً من الرجال المشهورين، ومنها انتقل جد الأسرة العلوية الحاكمة في المغرب في القرن السابع الهجري، ويرد اسمها في كتب المتأخرين في صور متعدّدة يَنْبُع وهو الصواب، والينبع والينبوع، وهما تحريف للأول.

يحوي هذا الكتاب معلومات عن تاريخ هذه البلاد وذكر مواضعها الجغرافية، وهذه المعلومات ليست تاريخاً متسلسل الحوادث مرتب النتائج، وليست وصفاً شاملاً لما عليه تلك البلاد من مختلف الأحوال من اجتماعية وجغرافية واقتصادية، ولكنها معلومات متفرقة سجّلها الجاسر في فترات مختلفة.

ويضم الكتاب ثلاثة أقسام وملحقاً.

القسم الأول: ينبع النخل، وحوى هذا القسم الحديث عن بعض مواضعها المشهورة، وأخبارها في صدر الإسلام وفي القرنين التاسع والعاشر

---

(١) ٢٣٩ صفحة، ١٤×٢٠سم.

الهجريين، ووصفها في القرن الرابع، ووصفها في كتاب (درر الفوائد) وفي بعض رحلات الحج، وتطرّق الجاسر إلى أهم قراها في العصر الحاضر.

القسم الثاني: ينبع البحر، مدينة ينبع البحر تضاف إلى البحر للتفريق بينها وبين ينبع النخل، لوقوعها على ساحل البحر، وضم هذا القسم حوادث وقعت فيها، وشيئاً من تاريخها ووصفها في بعض الكتب، والحديث عنها من قبل علماء قدماء وعصريين.

القسم الثالث: انطباعات خاصة للمؤلف الذي أقام فيها أربع سنوات معلماً. وفي هذا القسم وصف لينبع ولسكانها، وللحياة الاجتماعية فيها، وذكرياته فيها، وحديث عن رجال عرفهم واجتمع بهم.

أما الملحق: فللحديث عن بلاد جهينة ومنازلها القديمة، فبلاد ينبع من منازل جهينة، وفي هذا الملحق تعريف مفصّل لمنازل جهينة وأمكنتها القديمة مما نسبه المتقدمون إليها، أو مما هو داخل في منازلها.

وتحدّث الجاسر عن أوديتها وجبالها وأماكنها، وقد رتّبها ترتيب المعجم.

ثم أعقب ذلك استدراكات، فتصحيحات، فالفهرس.

* * *

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من سنة ٧٠٠ ـ ١٣٤٠هـ لإبراهيم صالح ابن عيسى[١]

عمد المؤلف في كتابه هذا إلى الحوادث التي سجّلها ابن بشر بعنوان (سابقة) فرتبها وأوردها متسلسلة وخصص لذكرها هذا الكتاب، وأضاف إليها أشياء لم يذكرها ابن بشر، وأتبعها بذكر أهم الحوادث التي ذكرها ابن بشر في تاريخه مختصرة جداً، وعني بإيضاح ما يتعلق بأنساب الأعيان الذين يريد ذكرهم، وبتاريخ عمارة بعض المدن والقرى ووفيات الأعلام، فجاء كتابه هذا يجمع خلاصة ما في تاريخ ابن بشر من (السوابق) والوفيات والحوادث التي لا تتعلق بالفتن والحروب إلا نادراً، فهو خلاصة ما وصل إلينا من تاريخ بلاد نجد في العصور المتأخرة باستثناء الحوادث السياسية، وذكر المعارك والحروب مما تكفل ابن بشر بتفصيله.

عمل الجاسر:

حافظ على ما ورد في الأصل الذي هو بخط المؤلف، ولو كان خارجاً عن القواعد الصحيحة من حيث النحو والإملاء، وأضاف تاريخ بعض الحوادث

---

(١) أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، (٣٥٢) صفحة، ١٤×٢٠، مقدمة الجاسر (٢٣) صفحة، نص الكتاب ص٢٥ ـ ٢٤٤. الفهارس ٢٤٥ ـ ٣٥٢.

المتعلقة بوفيات الأعيان نقلاً عن ابن بشر منتهية بحرف (ش) في الحاشية، وأضاف بعض كلمات تتمم المعنى في الأصل بين هاتين الحاصرتين [ ] نقلاً عن ابن بشر الذي هو مصدر المؤلف، ووضع عناوين لكل قرن من القرون تسهيلاً للباحث، وأضاف معلومات تتعلّق بتاريخ مدينة عنيزة لا يصح أن يخلو منها كتاب يضم تاريخ أهم حوادث بلاد نجد كتبها الشيخ محمد ابن مانع، وضبط بعض الكلمات بالشكل الكامل لتوقف نطقها على الوجه الصحيح على ضبطها.

* * *

تحفة المستفيد

بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (القسم الأول)

لمحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي(١)

هذا القطر الذي عرف قديماً باسم البحرين، وباسم هجر والأحساء، ثم أطلق عليه في عهدنا الحاضر اسم (المنطقة الشرقية) هو من أحفل الأقطار العربية بالحوادث التاريخية التي تدعو المؤرخين إلى العناية والاهتمام به.

وإقليم الأحساء هو أخصب إقليم في جزيرة العرب من حيث غزارة مياهه، وكثرة حاصلاته الزراعية منذ عهدٍ قديم إلى منتصف هذا القرن، حينما عثر على النفط فيه، فانصرف أهله عن الاشتغال بالزراعة إلى أعمال النفط.

جمع المؤلف تاريخه هذا من مصادر موثوق بها عزا كل نقل فيه إلى المصدر الذي استقى منه، إلا ما كان من صفة الأحساء الحاضرة وحوادثها المتأخرة، فنقل ما خفي عليه منها من الرجال الثقات، وحاول أن يربط بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث لبعض المواضع، ثم أورد فصولاً مفيدةً لإيضاح ما عليه البلاد في عهدها الحاضر، فتحدّث عن المدن والقرى الموجودة في الإقليم، وذكر بعض الأسر العريقة في القِدَم، وحاول إرجاع أنسابها إلى القبائل المعروفة، وهذا أمرٌ شاقٌّ لانقطاع تدوين الأنساب منذ عهودٍ قديمةٍ جدّاً، ثم سرد تاريخ البلاد السياسي.

(١) أشرف على طبعه وعلّق على بعض حواشيه حمد الجاسر، مطابع الرياض، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، (٢٩٢) صفحة.

أما القسم الثاني (الجزء الثاني) فيختص بالعلم والأدب في هجر (الأحساء من غير توسيع الدلالة)، وقد نشره المكتب الإسلامي ببيروت بإشراف الشيخ زهير الشاويش.

ما قام به الجاسر:

أباح المؤلف للشيخ حمد بأن يضيف إليه مما يكمل فائدة أو يزيد المعنى إيضاحاً، أو يكون أقرب إلى الصواب، واكتفى الشيخ حمد بكتابة حواشٍ يسيرة موجزة مع إضافة بعض المعلومات العامة، وألحق في آخر الكتاب ما يزيد بعض الأخبار التي أوردها المؤلف إيضاحاً مما نقله من مصادر ذكرها وأوردها على علاّتها (مع ما في بعضها من تحريف) محافظةً على الأصل الذي نقل منه.

* * *

التعليقات والنوادر
عن أبي علي هارون بن زكريا الهَجَري[1]

القسم الأول ـ حياة الهجري وعصره وثقافته[2]: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

كلمة في التعليقات والنوادر:

كان المتقدمون في أول التدوين العربي يستعملون هاتين الكلمتين للدلالة على ما جمعوه من معلومات مختلفة المقاصد، لا يجمعها رابط، فكانوا يريدون بكلمة (التعليقات) ما علقوه في أذهانهم ثم سجلوه في كتبهم من آراء قد تكون في الغالب خاصة بهم.

ويرى الجاسر أن الهجري قصد بالتعليقات: تسجيل ما علق بذاكرته أو بذهنه من معلومات وآراء ينسبها إلى مَن تلقَّاها عنهم، وقد ينسبها إلى نفسه بغير ذكر من رواها من الرواة دون أن ينسب تلك الآراء التي قد تكون في الغالب من رأيه مكتفياً بذلك بنسبتها إلى نفسه، ويرى الجاسر ـ وإن كان ذلك خارجاً عن الموضوع ـ أنَّ المعلقات التي أطلق عليها اسم (المعلقات السبع أو العشر) هي

---

(١) دراسة ومختارات تحتوي على:
١ ـ حياة الهجري وعصره وثقافته
٢ ـ الشعر والرجز واللغة
٣ ـ تحديد المواضع
٤ ـ الأنساب
أربعة أقسام متسلسلة الصفحات (٢٠٨٤) صفحة ١٧×٢٤سم.

(٢) ٤٨٨ صفحة، ١٧×٢٤.

ما علق بأذهان الرواة فتناقلوها حِفْظاً، وإن كان في زمن متأخر، وليس الجاسر مع القائلين بالمعنى الآخر من أنها عُلِّقت مكتوبة على الكعبة.

أما النوادر فهي ما جمعه العالم منسوباً إلى راوٍ من مختلف الملعومات اللغوية والجغرافية والأدبية مما يراه أهل العصر شيئاً نادراً أي خارجاً عن مألوفهم وإن كان فصيحاً صحيحاً. والجاسر يرى أن مدلول كلمة النوادر قد يُقصَد بها الفصيح من اللغة كما تدل على كل نادرة من خبر أو نكتة أو شعر أو مَثَل، ويتَّضح ذلك من مطالعة الكتب التي وصلت إلينا بهذا الاسم، مثل (نوادر أبي زيد) و(نوادر القالي) و(نوادر أبي مسحل)[1].

ولعلّ كتاب التعليقات والنوادر أهم أثرٍ للهجري، إذ به عُرِفَ عند كثير ممن تحدثوا عنه، فالكتاب دائرة معارف يضم الأدب والأخبار واللغة والشعر والأنساب، غير أنه لم يصل إلينا منه سوى قطعتين: إحداهما في دار الكتب المصرية، والأخرى في مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا بالهند، وتقع القطعتان في نحو ألف صفحة لا يدرى هل هما من أول الكتاب أو من آخره، منها صفحات كثيرة لا تستطاع قراءتها لاختلاط المداد فيها ولاحتراق الورق، وفيها اضطراب في ترتيب الصفحات.

وقد مُني هذا الكتاب بعدم الرواج، وبأن العلماء لم يتلقوه عن مؤلفه بطريقة تكفل رواجه وانتشاره، وأصاب الكتاب العبث من فقدان بعض أوراقه واختلاط كثير من كلماته.

والهجري لغوي وأديب ذو عناية بالشعر، راوية للغة والأدب والشعر وغيرها من علوم العرب في عصر قلَّ أن يوجد بين علمائه مَنْ استطاع أن يتوغَّل بين قبائل الجزيرة وأن ينقل من علومهم ما نقله الهجري، وهو باحث جغرافي حاول أن يحدد كثيراً من المواضع التي يتوقف على تحديدها فهم الشعر العربي، ومنها مالا نجد له ذكراً عند غيره، وهو نسَّابة عني بكتابة قسم من أنساب قبائل

---

(١) انظر التعليقات والنوادر، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

الجزيرة العربية في عصره بطريقة وإن كانت موجزة وغير مرتبة فيما وصل إلينا منها، إلا أنها حفظت لنا شيئاً كثيراً ذا قيمة في موضوعه.

تحدّث الجاسر في هذا القسم الحديث المفصَّل عن حياة الهجري العالِم المغمور وعصره وثقافته وشيوخه ومؤلفاته ونَقَلَة علمه، وصلته بالعلماء وصلته بهم، واستخلص من النصوص أنّ الهجري عاش في القرن الثالث، وفي أول القرن الرابع، وتحدّث عن نسبه فمال إلى أنه منسوب إلى هَجَر (الأحساء) في السعودية، وأشار إلى الاختلاف باسمه ورجح أنه هارون بن زكريا.

وتحدّث عن العبث في مخطوطة التعليقات والنوادر وفقدان بعض أوراقها، ثم أورد تصحيحاته لطبعة الدكتور الحمادي التي مُلئت عبثاً وغلطاً وتحريفاً وإغارة على جهد غيره فيما يتعلّق بترجمة الهجري، وقد استغرقت تصحيحاته نحو نصف الكتاب، جاءت في (٢٥٠) صفحة (٢٣٨ ـ ٤٨٨)، وضمت تسع مئة وست تصحيحات.

القسم الثاني ـ الشعر والرجز:

ويتضمن ما استطاع الجاسر قراءته في قطعتي المخطوطة من الشعر والرجز، وأورد أسماء الشعراء على ترتيب حروف المعجم، فبلغوا (٤٢٥) شاعراً، نسقت أشعار كل منهم مرتبة القوافي على حروف المعجم ص(٥١٢ ـ ٩٢٦)، ثم وليتها أشعار لم يتضح قائلها وراويها (٩٢٧ ـ ٩٤٥)، وبلغت عدد الأشعار (٥٤١٥) بيت، وجاء بعدها الرجز (٩٤٦ ـ ١٠٠٩)، وبلغ عدد الأرجاز نحو (٧٦) رجزاً، ثم ساق بعد ذلك الرجز الذي لم يعرف قائله ولا راويه (١٠١٠ ـ ١٠٢٤)، وبلغت عدد أبيات الرجز نحو (١٦٦٥) بيت مشطور.

وحوى شعر كثير من القبائل التي كانت ذات صلة بالمدينة المنورة، فالهجري عاش في أثناء تأليف كتابه في العقيق قرب المدينة، حيث كان رؤساء القبائل وشعراؤهم يفدون على أمراء تلك البلدة، فكان يتلقفهم ويتلقى عنهم ويسجل ما يملون عليه، وأورد لقبائل أخرى أشعاراً قليلة.

والهجري ـ كما أسلفنا ـ من أئمة اللغة والأدب وراوية للشعر، ولهذا يُعدُّ ما أورده في كتابه من شعر موثوق الرواية، إذ هو قد تلقّاه عمن رواه بطريقة تحمل على الثقة به.

وأكثر الأشعار لشعراء مغمورين لم يرد لهم ذكر فيما بين أيدينا من كتب، وجلّهم من عصر أبي علي الهجري، أما الشعراء المشهورون فقد جاء في أشعارهم أبيات لم ترد في دواوينهم المعروفة، وعلّق عليها الجاسر تعليقات نفيسة لا يقوى عليها إلا من أُوتي اطّلاعاً واسعاً وحافظةً حيّة، فصحَّح وخرّج.

القسم الثالث ـ اللغة والمواضع:

ويحتوي ما فسّره الهجري في كتابه من اللغة (١٠٢٥ ـ ١٠٨٠) وما قام به من تحديد المواضع، وقد رتّب مواد اللغة على حروف المعجم (١٠٣٨ ـ ١٢٨٠)، وهذه المادة تتطلّب الدرس والتوثيق، فقد ذكر الجاسر أنه يخشى أن يكون قد اعتور بعضها التصحيف والتحريف، ولابدّ من دراسة يقوم بها عالم متضلّع في المباحث اللغوية قادر على أن يستوفي ما استدركه الهجري فيما لم يرد في كتب اللغة ومعجماتها.

وعمد الجاسر إلى ذكر الكلمات اللغوية الواردة في بعض كتب اللغة كالمحكم لابن سيدة، ولسان العرب، وتاج العروس. وعددها (٦٨) كلمة، رتّبها على حروف المعجم.

وكلّ ما فعله الجاسر في هذا القسم أنه حاول أن يقدّم نصوصاً لعالم لغوي قد يبقى مغموراً أو مجهولاً، وما استطاع الجاسر جمعه في هذا القسم هو مما ورد في ثنايا شرح بعض الأبيات أو في جمل يوردها الهجري دون مناسبة ولا رابط بينها، وقد يلاحظ أن من الكلمات اللغوية ما قد يكون شرحاً لنص ليس موجوداً فيما بين أيدينا من كتاب الهجري.

أما المواضع التي عني الهجري بصفتها وتحديدها، فقد انطوت على

فوائد شتى، وتطالعنا مواضع كثيرة في جزيرة العرب قد تفرّد الهجري بذكرها، وكما تطالعنا شروح تفصّل ما أجمله البلدانيون العرب في مؤلفاتهم، ونفتح الباب لاجتهادات وتحقيقات وتصحيحات. وقد رتّب الجاسر المواضع على حروف المعجم (١٣٠٢ ـ ١٦٦٤).

وتكمن أهمية هذا القسم هو أن الهجري من أهل الجزيرة العربية، فهو أدرى ممن كتب في مواضعها حيث كانوا بعيدين عن تلك البلاد، وأكثرهم استقى معلوماته عن بعض الأعراب الذين وفدوا على رجال الدولة في خارج الجزيرة في العراق أو في أصفهان أو في غيرها من البلدان الثانية كالأصفهاني صاحب كتاب (بلاد العرب)، أو ممن استقوا تلك المعلومات مما وجدوه في المؤلفات التي وصلت إليهم في الأندلس كالبكري صاحب كتاب (معجم ما استعجم)، أو في البلاد الشرقية كياقوت الحموي صاحب كتاب (معجم البلدان) الذي جمعه من مختلف خزائن الكتب في العالم.

وهذا ما دفع الجاسر إلى جمع قسم ما تسنّى جمعه من كلام الهجري في هذا الموضوع، وحرص على أن ينقل من هذا الكتاب كل ما وقع عليه نظره من أسماء المواضع، لأنه رأى بعض أسماء لم يجد لها ذكراً في معجمات الأمكنة وردت عرضاً في بعض الأشعار التي يوردها الهجري.

القسم الرابع ـ النسب:

ويتناول هذا القسم ما حشده الهجري في التعليق من معارف النسب (١٦٤٥ ـ ١٩٢٦)، ويذكر الجاسر أن الهجري كثير العناية بأنساب القبائل، فقد يتصدّى لذكر قبيلة دون مناسبة، فيفرعها ويذكر تسلسل الفروع، وقد يتحدّث عن ذلك عرضاً في سياق نسب أحد رواته، أو ذكر من الشعراء بحيث يصح القول بأن الباحث قد يجد فيما كتبه الهجري عن الأنساب ما لا يجده في كتب النسب المعروفة، فقد خالط بعض القبائل في مواطنها، واتّصل ببعض مشاهيرها وبعض شعرائها في وقت متأخر عن الزمن الذي تصدّى فيه علماء النسب بتدوينه

وهو آخر القرن الثاني الهجري، كما في مؤلفات الكلبيّين: محمد بن السائب وابنه هشام.

أما الهجري فقد أدرك القرن الرابع وذكر أنساب قبائل خلاف ما ذكر ابن الكلبي وغيره. وحسبك قول ابن الوزير المغربي في كتابه (أدب الخواص): كان الهجري أعلم المتأخرين بالنسب[1].

أورد الجاسر الأنساب مرتبة ترتيب المعجم (١٦٦٢ ـ ١٦٧٨) استقى المواد من التعليقات والنوادر للهجري وما وصل إلينا من كتاب الرُّشاطي (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار)، فقد اقتبس الرشاطي كثيراً من كتاب الهجري مما له صلة بكتابه، واستقاها أيضاً من مختصرات كتاب الرشاطي كمختصر عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، ومختصر إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي، ومختصر محمد بن محمد الخيضري.

أعقب الكتاب استدراكات وتصحيحات (١٩٠٩ ـ ١٩٢٦) فالفهارس العامة التي صنعها الجاسر لتكون مفاتيح الكتاب تهدي القارئ إلى ما يريده في سهولة ويسر وهي عشرة فهارس (١٩٢٨ ـ ٢٠٨١)، تلاها التطبيع (الأخطاء المطبعية) وتصحيحها (٢٠٨٢ ـ ٢٠٨٤).

لقد قدم الجاسر بعمله هذا ـ كما يقول الدكتور شاكر الفحام في مجلة مجمع دمشق ٦٩ : ١٦٠ ـ ذخيرة مشحونة بالفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية، ووطّأ بعمله السبيل لمن يودّ أن يحقق الكتاب، فيصحّح المحرَّف، ويقيم المنآد، وقدم بكتابه هذا منهلاً عذباً سائغاً للباحثين والدارسين يئلون إليه، ويرتوون من فيضه.

* * *

---

(١) أدب الخواص، ص١١٩.

جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد(١)

يُعدّ هذا الكتاب القسم الثاني مما جمعه الجاسر في الأنساب، فقد تقدمه كتاب (معجم قبائل المملكة العربية السعودية)، وهو في أنساب القبائل التي لم تتحضر في جميع فروعها.

وهذا الكتاب في أنساب الفروع المتحضرة في نجد خاصة، إذ الفروع الحضرية في جميع أنحاء السعودية من الكثرة بحيث يحتاج إلى سعة العلم وطول مدة البحث وجمهرة عدد من الباحثين.

ولم يتعرّض الجاسر في كتابه هذا لذكر ما قد يثير التساؤل أو يؤثّر في بعض النفوس، واتّخذ قاعدة (الناس مأمونون على أنسابهم) أساساً، فتلقّى كثيراً مما فيه عن أفواه مَن ذكرهم، ورجع إلى ما استطاع الرجوع إليه من المؤلفات التاريخية والمذكرات الخاصة مع ملاحظة أمرين مهمين:

الأول: عُني بالأُسَر المتحضّرة ممن كانت مستوطنة في الحضر قبل القرن الرابع عشر الهجري، ومردّ ذلك موجة التحضّر العظيمة بتوجيه الملك عبد العزيز، حيث أمر بإنشاء الهُجَر للبادية، فشمل التحضّر جميع قبائل السعودية، وأصبح من العسير الإحاطة بمعرفة كل الأُسر المتحضّرة من ذلك العهد، ولما نعمت السعودية بالرخاء والثروة والأمن عمّ التحضّر.

الثاني: خصص هذا القسم للأسر التي لاتزال تحفظ أنسابها، وليس معنى

---

(١) جزآن في (٩٢٣) صحفة، القسم الأول (أ ـ ض) (٤٦٤) صحفة، القسم الثاني (ط ـ ي) (٤٦٥ ـ ٩٢٣) ١٧×٢٤، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

هذا أنّ مَن لم يذكره من الأسر لا أنساب لها، فكثير من الأسر جهلت أصولها لأسباب كثيرة ذكرها الجاسر في المقدمة لا يتسع المجال لذكرها في هذه العجالة.

من أجل ذلك سمّاه (جمهرة الأنساب المتحضرة في نجد)، إذ جمهور كل شيء معظمه وليس كله.

ولم يقف عند ذكر النسب وحده، بل أضاف بعض ما وجده من أخبار تتعلق بالأسرة والحوادث والوقائع، ولم يتوسع في هذا الجانب، إذ التوسّع فيه يخرجه عن موضوعه إلى مؤلَّف في حوادث التاريخ.

وحرص على إيراد من عرف من المشايخ والأمراء عند ذكر الأسر التي ينتسبون إليها للاستعانة بسرد أنسابهم لمعرفة فروع تلك الأسرة باستثناء الأسر المعروفة، وهي آل الشيخ وآل رشيد وآل سعود. فقد أفردت كتب فيها.

وقد يذكر بعض الأسر النجدية التي ارتحلت عن نجد إلى الأحساء أو الكويت أو الزبير، إذ هجرة الأسر النجدية إلى تلك البلاد لم تقف إلا بعد أن أنعم الله عليها بنعمة الاستقرار والأمن والرخاء.

رتب الجاسر الأُسر على حروف المعجم باعتماد الأصل وحذف الحروف الزائدة مثل: آل، أل، أبو، أبا... وكان يؤثر في كتابة الألف المقصورة ألفاً، وإن خالف القاعدة، مثل: يحيى، الثّمارى، الجراوى، فكتبها: يحيا، الثمارا، الجراوا؛ لأنّ القواعد وضعت لصون اللسان عن الخطأ في نطق الكلمة، فهي وسيلة وليست غاية.

وقد يطيل في الحديث عن الأسرة كما هو الحال في (تميم) و(بنو خالد) و(بنو لأم) و(آل ماضي) و(الوهبة) وغيرها، وقد يتوسط في بعضها كما في (آل عدوان) و(آل عطية) و(آل كثير) و(آل إبراهيم)، ومال إلى الاختصار في معظمها.

ثم رتّب المصادر على حروف المعجم قائلاً فيها: ومنها ما لا أنصح

بمطالعته لكل قارئ لكثرة ما فيه من الأوهام والأخطاء التي لا يدركها إلا العلماء ممن عُنوا بالاهتمام بعلم الأنساب.

ولا يعدم القارئ أن يجد في هذا الكتاب فوائد عامة في الأنساب ومنها:

١ ـ أن عادة قبائل العرب إذا ضعفت انتمت إلى أقرب الفروع إليها إذا كان قوياً وإن لم يجتمعا في أب واحد.

٢ ـ بيان الجاسر للخطأ الشائع منذ عصور قديمة وهو انتساب بني خالد إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه، خاصة فرقة يدعون بهذا الاسم كانو في نواحي حمص حيث دُفن خالد رضي الله عنه، وقد نصّ علماء النسب على انقطاع عقبه على ما ذكر ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار).

٣ ـ أن الاسم الواحد قد يُطلق على عدد من القبائل لفروع، مثل: أسد فهو يطلق على قبيلة عظيمة أسد بن خزيمة ابن مضر، ويطلق اسم أسد أيضاً على جِذم كبير من ربيعة: أسد بن ربيعة، كما يطلق على فروع قبائل كثيرة مختلفة النسب.

٤ ـ أن إطلاق الاسم على عدد من القبائل والفروع كثيراً ما يوقع في الخطأ في ذكر نسب بعضها، بل قد يسبب التداخل في الأنساب.

٥ ـ أن المتتبع لتنقل القبائل العربية في جزيرتهم ثم لانتقالهم منها قلّ أن يجد قبيلة بأسرها أو فروعاً منها اتّجهت من خارج الجزيرة من الشام ـ مثلاً ـ إلى داخل الجزيرة، بل بالعكس.

٦ ـ مما يعترض الباحث في الأنساب مما لا يجد له مصدراً ملخصاً يعول عليه تحديد أزمان انتقال فروع القبائل القديمة وتفرقها.

* * *

الدرر الفرائد المنظمة
في أخبار الحاج وطريق مكة المعظّمة[1]

لعبد القادر بن عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي
من أهل القرن العاشر الهجري

عُني علماء المسلمين عناية عظيمة بكل ما يتعلق بالحج إلى بيت الله الحرام، ومن ذلك الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة من مختلف الأقطار الإسلامية، ولعل أوفى ما كتب من وصف الطرق هو ما يتعلق بطريق الحج من القاهرة إلى مكة المكرمة عن طريق سيناء، فالعقبة، فساحل البحر الأحمر إلى ينبع، فالمدينة المنورة، فمكة المكرمة.

وهذا الكتاب شامل كاسمه في أخبار الحج وطريق مكة المعظّمة، وقد تضمّن وصفاً لرحلات مؤلفه من القاهرة إلى الحج بطريق الساحل، فهو من هذه الناحية يدخل في نطاق رحلات الحج.

ويُعدُّ هذا الكتاب أوفى كتاب عن أخبار الحاج والحجاج خلال عشرة قرون، أوفى الكلام فيه على ما يتعلق بإمارة الحج في آخر عهد ملوك الجراكسة (المماليك) وأول عهد العثمانيين إلى ما بعد منتصف القرن العاشر الهجري، ووصف طرق الحج إلى مكة المكرمة وفصّل الكلام بصفة خاصة على طريق حاج مصر، ومن يأتي مع ذلك الطريق البري من القاهرة إلى مكة المكرمة مجتازاً بصحراء سيناء إلى العقبة في الأردن، فساحل البحر الأحمر إلى ينبع في السعودية، فضبط أسماء المواضع وحدّدها، ووصف المناهل (المياه)، وقدّر

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، ثلاثة مجلدات متسلسلة الصفحات في (٢٣١٣) صفحة ١٧×٢٤سم.

المسافات بينها، وسمّى العربان بتفصيل بطونهم وأفخاذهم، وذكر بعض مشاهيرهم، ودوّن بعض الحوادث المتعلقة بأولئك العربان في ذلك العهد بما لا يجده الباحث في غير هذا الكتاب، وكان في كل أولئك يعتمد على مشاهداته وما عرفه عن ذلك الطريق الذي أكثر الترداد في السير فيه.

ويعدّ الكتاب أيضاً سجلاً لحوادث حقبة من الزمن من تاريخ مصر تكاد تكون جوانب من تاريخها غامضة، وسجّل فيه جوانب مهمة وافية تتعلّق بتاريخ مكة المكرمة وحوادث الحج، وصوّر كثيراً من المآسي التي كانت تقع من عمال الخلافة العثمانية مما شاهده المؤلف بنفسه أو عَلِمه لقوة صلته بهم مما قلّ أن يوجد في غير هذا الكتاب.

وقد أُلِّف هذا الكتاب في عصر اتّسم بالجمود الفكري وانتشار البدع والخرافات في العالم الإسلامي، ولهذا فإن القارئ سيجد في مواضع من هذا الكتب ما قد لا ترتاح إليه نفسه، ولا ينشرح له قلبه، بل قد يجد فيه مصادمة لبعض ما يفهم من بعض النصوص الشرعية، نبّه عليها الجاسر في الحواشي.

وأحسن الجاسر إذ قال: ولو نظرنا نظرة عامة إلى ما خلّفه لنا المتقدّمون من مؤلفات، وأردنا الاقتصار منها على ما ليس فيه ما لا نرتضيه بحيث نريده سالماً من كل عيب؛ لقلّ ما نحصل عليه من ذلك التراث، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

ضم الكتاب سبعة أبواب وواحداً وثلاثين فصلاً ومقدمة في ثماني صفحات، وقد حوى الباب الأول سبعة فصول، وفيها ابتداء بيت الله الحرام وفضله وشرفه، وما ورد في فضائل الحج والعمرة، وشرائط وجوبها، وفي أخبار مكة ومن كان بها من قبائل العرب، وفضل العرب وأقسامهم، وولاية قريش للكعبة، وأسواق مكة.

وحوى الباب الثاني أربعة فصول وفيها: كيف حجّ رسول الله ﷺ، وذكر

إمرة الحاج وبيان ما يجب أن يتصف به الأمير، وذكر المناصب التابعة لأمرة الحاج.

واحتوى الباب الثالث فصلين طويلين وهما في فتح مكة المشرفة، وفي ذكر من ولي إمرة الحاج منذ عهد رسول الله ﷺ إلى عام ٩٧٢هـ، وأهم حوادث مكة المكرمة مرتبة على السنين، وذكر أحوال الحج والحجيج متتابعة على السنين من عام ٩٠١ حتى نهاية ٩٧٢ مع ذكر الحوادث بالديار المصرية والقاهرة.

ثم الباب الرابع وفيه ثلاثة فصول: في تجهيز الحمول وما جرت العادة بحمله من ذلك بطريق الحج الساحلي: الطور ـ السويس ـ عقبة إيله (العقبة) ـ ينبع ـ جدة.

وفي ذكر الجمال وتفصيل محملها وعددها على اختلاف الآراء والسنين، وفي ذكر ما كانت عليه ولاية إمرة الحاج من الاعتبار والمهابة واعتناء من تقدّم من الملوك بها.

الباب الخامس وفيه ثمانية فصول وهي في ذكر المنازل والمناهل على وجه التفصيل، وقياس المسافة بين مكة وغيرها من البلدان بالبرد والفراسخ، وذكر الأدراك وطوائف العربان منزلاً بمنزل ومنهلاً بمنهل، وبدر ومن بها من الشهداء، والإحرام من رابغ، وما يجب شرعاً من المناسك وما يستحب، وذكر محظورات الإحرام، وفيها ذكر مكة المشرّفة وحدود الحرم، وذكر أمراء مكة وذكر ولاتها منذ الفتح الإسلامي وبعض الوقائع التي حدثت فيها، وذكر بقية المراحل من المدينة إلى غزة أو مصر.

الباب السادس وضم ثلاثة فصول، وهي في ذكر المدينة المنورة وأسمائها ومشاهدها ومعاهدها، وذكر الهجرة النبوية، وذكر بقيع الفرقد، وفضل أُحد والشهداء به، وذكر سور المدينة، وفي فضل زيارة النبي ﷺ وما ورد في ذلك.

الباب السابع وهو خاتمة الأبواب، وفيه أربعة فصول تبحث في ذكر بعض من حجّ من الأعيان ومن الصحابة، والخلفاء والملوك والوزراء وأكابر الأمراء

وأماثل العلماء والصلحاء، وأجلاّء الفقهاء والكتّاب، ومشايخ العربان ممن له شهرة في ذلك الزمان، وألحق الجاسر بالكتاب فهارس حاوية صنعها، فالأخطاء المطبعية.

المؤلف: هو عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري (نسبة إلى الجزيرة الفرانية بالعراق): مؤرخ مصري مغمور، ولد سنة ٩١١، وكان في أول أمره يتعاطى التجارة مع اشتغاله بطلب العلم، وكان يحج مع أبيه مساعداً له، وفي سنة ٩٤٠ عمل مع أبيه في وظيفة كاتب (ديوان إمرة الحاج) حتى توفي أبوه، فاستقلّ بعده في العمل حتى قارب الخمسين عاماً ووضع القواعد التي يعتمد عليها في أمور الحاج ومهماته، وصحب الحاج كثيراً، وكان حنبلي المذهب، وكانت له صلة قوية بعلماء مكة، وتوفي نحو عام ٩٧٧هـ. من مؤلفاته (خلاصة الذهب في فضل العرب) و(عمدة الصفوة في حل القهوة).

وبقي مؤلف هذا الكتاب مغموراً مع صلته برجال الدولة وصلته بعلماء عصره، وليس من المستبعد ـ على ما يرى الجاسر ـ أن يكون من أسباب عدم انتشار هذا الكتاب وعدم شهرته، ما فيه من نقد شديد لأولئك الولاة، ووصف جوانب من أفعالهم، وتعرّضه للكلام في العلماء من القضاة وغيرهم ووصفهم بالجهل، كان على جانب قوي من الصراحة حين يتحدث عن أولئك الولاة والقضاة وشيوخ العربان.

ومع صلة الجزيري بعلماء عصره وتلقيه العلم عن مشاهير علماء القاهرة في عصره، إلا أنّ أسلوبه في الكتابة ضعيف، وإن حاول تحسينه باستعمال السجع، فهو يستعمل كثيراً من الكلمات في غير محلّها، وتكثر في عباراته الكلمات العامية، ويقع في كلامه كثير من اللحن ومخالفة قواعد اللغة نحواً وصرفاً، وقد يكون ذلك أو بعضه من تحريف النساخ، وهذا ما دفع الجاسر إلى إصلاح كلمات وردت غير صحيحة مما يستبعد ورود مثلها من المؤلف.

ولمّا كان المؤلف قد عاش في عصر الخلافة العثمانية، وقويَّ الصلة

بالدواوين والولاة والأمراء وجلّهم أتراك، انتشرت الألقاب والكلمات الأعجمية التي كثر استعمال المؤلف لها في هذا الكتاب.

منهاج النشر :

اعتمد الجاسر ثلاث نسخ مخطوطة للكتاب.

الأولى: دار الكتب المصرية، ورمز لها بحرف (مص).

والثانية: جامعة ييل (YALE) الأمريكية ورمز لها بحرف (ي).

والثالثة: النسخة المغربية المحفوظة بخزانة كتب جامعة القرويين، ورمز لها بحرفي (مغ).

وقد أفاض في وصف هذه النسخ، واتخذ المغربية أصلاً لقدمها ولما فيها من الزيادات مع الرجوع إلى النسختين الأخريين، ورجع أيضاً إلى النسخ الخمس المختصرة في الكلمات التي يقع فيها اختلاف، ووضع ما اتفق عليه أكثرها دون الإشارة إلى الاختلاف ما لم يكن محتملاً أن يكون هو الصواب.

ولم يهمل الجهد الذي بذله الأستاذ محب الدين الخطيب في مطبوعته التي صدرت سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م في (٧١٤) صفحة التي تُعدّ خيراً من أصليها: مخطوطة الأزهر ومخطوطة الشيخ محمد نصيف.

ولقد حرص الجاسر أن يخرج الكتاب على خير صورة يستطيع إبرازه بها تتفق مع عمل مؤلفه، فحاول التثبت من صحة ما فيه من نصوص منقولة عن مؤلفات استطاع الاطلاع عليها، فقابلها، وأشار إلى ذلك في الحواشي التي حاول أن تكون موجزة، فالغاية تحقيق النص لا شرح الكتاب، كما حاول السير على نهج الأستاذ محب الدين الخطيب فيما صحّحه من أخطاء لغوية في كلمات يسيرة.

أما الأخطاء التي اتّضح له - من اتفاق النسخ على كثير منها - أنها ليست

كلها من تحريف النساخ، فقد تركها على حالها محافظة على النص مع الإشارة إلى بعضها، ووضع الكلمات الأعجمية بين قوسين مثل (الدوادار)، وحاول إيضاح هذه الكلمات بإيرادها مرتبة مفسرة في آخر الكتاب، وقد وضع علامة الاستفهام (؟) جوار ما استغلق عليه فهمه من الكلمات، ونقطاً (. . . .) مكان ما لم يستطع قراءته من المخطوطة المغربية ففيها صفحات لا تستطاع قراءتها.

وقدم الجاسر للكتاب بمقدمة طويلة (٦٠) صفحة، تحدّث فيها عن الكتاب والمؤلف، ومخطوطات الكتاب، وطريقة النشر.

* * *

رحّالة غربيون في بلادنا[1]
عرض موجز لرحلات بعض الغربيين في قلب الجزيرة العربية وشمالها
مع ضميمة لها صلة بالرحلات

هذا الكتاب الممتع عرض لثماني رحلات قام بها أوروبيون في شمالي الجزيرة العربية ووسطها، وكان العرض من خلال تعريبها إذ أن الجاسر لا يحسن اللغة الأصلية لتلك الرحلات والكتب.

الرحّالة الأول: يوهن لودفيك بوركهارت السويسري ١١٩٩ ـ ١٢٧٢هـ = ١٧٨٤ ـ ١٨١٧م، ويسميه الإنكليز جون لويس بوركهات، وكتابه الأول (مواد لتاريخ الوهابيين)، تعريب الدكتور عبد الله العثيمين، وعرض له الجاسر عرضاً موجزاً وأفاض في ترجمة الرحالة (١٣ ـ ٢٦).

وكتابه الآخر (رحلات في شبه جزيرة العرب) تعريب الدكتورين عبد العزيز بن صالح الهلالي، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، خلص في عرضه أنه كتاب ممتع مفيد فيما يتعلق بنواحي الحياة العامة من اجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها.

وأتى ببعض أهم ما جاء من تصحيف وتحريف في الكتاب (١٣ ـ ٢٦).

الرحالة الثاني: جورج فورستر سادلير الإنكليزي ١٢٠٥ ـ ١٢٧٧هـ = ١٧٨٩ ـ ١٨٥٩م، ومذكراته (رحلة عبر الجزيرة العربية) عام ١٢٣٤هـ = ١٨١٩م، نقلها إلى العربية أنس الرفاعي، وتولى نشرها وتحقيقها والتعليق

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، ١٤١٧هـ (٣٨٦) صفحة ١٥×٢٤.

عليها سعود بن غانم الجمران.

وسادلير - كما كتب الجاسر - من صانعي السياسة البريطانية ومرسّخيها بالهند وبلاد عُمان في ذلك العهد، ويكاد ينضح جسمه بالكراهية والحقد والنيل من العرب، ورحلته هذه مذكرات كتبها لحاكم بومبي في حكومة الهند، وتتلخص غايته من رحلته هذه بالاتصال بإبراهيم باشا قائد الحملة المصرية للقضاء على الدولة السعودية الأولى. وفي رحلته وصْفٌ للمدن والقرى التي مرّ بها، ووصف للفظائع التي ارتكبها إبراهيم باشا في الدرعية ومنفوخة والرياض والأحساء وغيرها. وعرض الجاسر للتحريف في أسماء المواضع التي ذكرت في الرحلة، كما ترجم لسادلير (٢٧ - ٧٤).

الرحالة الثالث: موريس تاميزيه الفرنسي وكتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية)، وهو أول مَن زار بلاد عسير وتهامة سنة ١٨٣٥، سجّل فيه مشاهداته وانطباعاته بأسلوب اليوميات، وحوت الرحلة إمتاعاً وطرافة دونت بأسلوب شائق ممتع.

وقد استرسل الجاسر في الحديث إلى ما يحويه القسم الأول (بلاد عسير) من رحلة تاميزيه.

الرحّالة الرابع: كرستيان سنوك هرخرونيه الهولندي ١٢٧٤ - ١٣٥٥هـ = ١٨٥٧ - ١٩٣٦م، وكتابه (صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر)، تعريب محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، وعرْض الجاسر لهذا الكتاب من أوسع مباحث الكتاب، وأغزرها مادة، استغرق من الصفحات اثنتين وتسعين صفحة، وتوسع في الكلام عن حيلة هذا المستشرق ودهائه الذي استطاع أن يخدع الناس بإسلامه، ومنهم علماء مكة ووجهاؤها وأكثر المسلمين في جاوة بأندونيسية، وأطنب في الحديث عن اشتغاله بالتجسس طيلة سبعة عشر عاماً في بلاد جاوة مستشاراً للشؤون الدينية في وزارة المستعمرات الهولندية، وتحريضه على استعمال الشدة - إلى درجة القتل - للمتمسكين

بدينهم من علماء المسلمين، وتحدث عن ممارسته للتبشير.

ويقول الجاسر: إن الفصل الرابع من الكتاب الذي خصصه سنوك لسكان مكة والوافدين عليها من الجاويين هو الغاية من تأليف الكتاب، ويعلل ذلك بأن مكة هي أعظم ملتقى إسلامي تجتمع فيه مختلف طبقات الأمة من قادة وعلماء ودعاة إصلاح ومفكرين.

ويلتقي في هذا الملتقى مسلمون من جميع أقطار العالم الإسلامي، فيحدث بين مختلف هؤلاء من الاتصال والالتقاء والاجتماع ما يكون من أقوى الوسائل لمعرفة مختلف أحوال المسلمين في تلك الأقطار المختلفة، والتباحث فيما هم فيه من ضعف وهوان واستعباد، والتفكير في الطريقة المثلى التي تهيِّئ لهم الخلاص من ذلك. وقد أبان الجاسر في عرضه لهذا الكتاب عن أخطاء سنوك وأوهامه (١٠١ ـ ١٩٢).

الرحّالة الخامس: شارل هوبر الفرنسي ... ـ ١٣٠١هـ = ... ـ ١٨٨٤م الذي قام برحلة إلى شمالي الجزيرة سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٤، وسجّل كثيراً من مشاهداته التي جمعت بعد وفاته في كتاب بلغت صفحاته (٧٨٠) صفحة، وهو باللغة الفرنسية، وكان أهم ما عثر عليه حجر تيماء، وهو حجر يبلغ وزنه (١٥٠)كغ عثر عليه في تيماء، ونقله إلى متحف اللوفر بباريس، ويحوي نقشاً من أهم النقوش التي كشف عنها حتى الآن قيمة أثرية، ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو مكتوب باللغة الآرامية (١٩٣ـ١٩٦).

الرحّالة السادس: لويس بلي ١٢٤١ ـ ١٣١١ = ١٨٢٥ ـ ١٨٩٥م السياسي الإنكليزي، وكتابه (رحلة إلى الرياض)، تعريب الدكتورين عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ وعويضة الجهني. وقد سجّل بلي رحلته بشكل مذكرات موجّهة إلى المقيم السياسي للحكومة البريطانية في بومبي بالهند، ومثّل ذلك وجهة نظر الساسة البريطانيين لهذه البلاد، وفي الوقت نفسه يُمدّ القرّاء بمعلومات لا توجد في غيره، وخلص الجاسر إلى عدم الاطمئنان بكثير

مما أبداه من أفكاره الخاصة مما يتعلق بهذه البلاد وأهلها، وقد ترجم له الجاسر ترجمة مفيدة (١٩٧ ـ ٢٤٨).

الرحّالة السابع: المستشرق التشيكوسلوفاكي الويس موزل ١٢٨٥ ـ ١٣٦٣هـ = ١٨٦٨ ـ ١٩٤٥م، وكتابه (شمال نجد)، وأوضح الجاسر أن موزل في كتابه هذا غزير المعرفة، عميق الدراسة، دقيق الملاحظة في دراسته للمنازل، فهو مع رجوعه إلى المصادر العربية القديمة المتاحة له يتتبع تلك المنازل بالمسير فيها ومشاهدتها منزلة منزلة مع قياس المسافات بينها ومطابقتها على ما ورد في تلك المصادر، وقام في سبيل تحقيق المواضع بسلسلة من الرحلات، ومن يقرأ كتابه أدرك جانباً مما قاساه في سبيل العلم من شظف العيش وشدة النَّصَب والجوع والخوف.

الرحّالة الثامن: عبد الله فلبي (هاري سانت جون فلبي) ١٣٠٢ ـ ١٣٨٠هـ = ١٨٨٥ ـ ١٩٦٠م، المستشرق البريطاني ومؤلفاته، أورد الجاسر نبذة عن حياته، وعرض لتقشف فلبي وخشونة عيشه حينما استقرّ في السعودية، فقام برحلات متعددة إلى جهات من غير السهل الوصول إليها لمن لم تُهيَّأ له الوسائل التامة، وكانت حصيلة تلك الرحلات مؤلفاته المعروفة التي شحنها بالمعلومات المتعلقة بوصف جميع ما شاهده من أحوال السكان المختلفة، ومن وصف لبلاد جغرافياً وطبقياً (جيولوجياً)، ومن تسجيل ما رآه من آثار ومن مظاهر طبيعة تلك البلاد بصفة عامة، وما عرفه من أحوال السكان في مختلف جوانب حياتهم، وتحدّث الجاسر عن ضعف معلومات فلبي عن الجزيرة السعودية.

وحينما انتهى الجاسر من ذكر الرحّالة ومؤلفاتهم انتقل للحديث عن اضمامة لها صلة بالرحلات، عرض فيها الجاسر لرحلة ناصر خسرو (سفرنامة) التي كتبت بالفارسية، وهي أقدم رحلة شرقية، وتقع حوادث الرحلة بين سنتي ٤٣٧ ـ ٤٤٤هـ.

وعرج الجاسر على تعريب الدكتور يحيى الخشاب للرحلة وتعريب الدكتور أحمد خالد البدلي، وعرض للفروق بين التعريبين مفضّلاً تعريب الخشاب، وأتى بنماذج من أغلاط الرحّالة في الترجمة الحديثة، وما ورد في رحلة ناصر خسرو من معلومات مشوشة مضطربة لا تطابق الحقيقة (٣٠٩ ـ ٣٥٤).

ثم انبرى للحديث عن (الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية) للرحالة الياباني إيجيرو ناكانو الذي قام برحلة إلى الجزيرة عام ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م، ترجمتها سارة تاكاهاشي، سجل فيها الرحالة يوميات رحلته بأسلوب جيد، وأبدى الجاسر ملاحظاته اليسيرة على هذه الرحلة (٣٥٥ ـ ٣٦٧).

وختم الحديث عن الرحالة بالحديث عن شيخ المستشرقين فرانشيسكو جبريَلّي الإيطالي الذي كان واسع الاطّلاع على التاريخ العربي الإسلامي بجميع فروعه، وكان يتحدّث العربية بطلاقة (٣٦٨ ـ ٣٧٣).

ثم تلاه الفهارس.

* * *

للبحث عن التراث
رحلات حمد الجاسر[(١)(٢)]

رحـلات حمد الجاسـر متنوعة المقاصد، فهي إمـا إلى بلاد عربية أو إسلامية أو أجنبية أوروبية وأمريكية بقصد الاطّلاع على التراث العربي متمثلاً في مخطوطاته، يصف ما يتخيّره منها، ويصور ما يستطيع تصويره، أو رحلات داخل بـلاده من الجزيرة العربية ليحقق مواضع تاريخية أو أصول قبائل، أو رحلات للعلاج والاستشفاء، وقد خصّ هذا الكتاب لرحلاته من أجل البحث عن التراث دون الأهداف الأخرى.

خصّ الجاسر هذا الكتاب (وهو في الأصل مقالات نُشرت بمجلة العرب وصحيفة اليمامة وغيرهما) برحلاته خارج الجزيرة العربية لمهمة جليلة، فطاف في كثير من أقطار العرب وأقطار المسلمين والأقطار الأجنبية، وكان لا يبخل بشد الرحال إلى كل صُقْع من هذا الأصقاع، فيه من المخطوطات ما يستحق أن يُشدَّ الرحال إليه.

لم يعقه عن هدفه هذا ما كان يتحمل من مشاق، فقد كان يقضي الساعات الطوال في التنقل من مطار إلى مطار، ومن مدينة إلى أخرى، وكان يتعرض

---

(١) قدم الأستاذ عصام الشنطي دراسة ممتعة لهذا الكتاب نشرها في مجلة العرب س٣٣، ص١٩١ ـ ٢١٦، استفدت منها في هذا التعريف.

(٢) الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، إشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، تاريخ المقدمة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، (٤٠٩) صفحة ١٧×٢٤.

لمشقات أشد نَصَباً وألماً حين تكون المسافات طويلة، يسافر مرة من إستانبول إلى مدينـة قونية عبر أنقرة، فيقضي النهار وهزيعـاً من الليل وهو في أكثر من (حافلة) إلى أن يصل إلى مراده، ويقضي مرة اثنتين وعشرين ساعة في القطار ساعياً إلى مدريد من باريس بهدف التردد على مكتبة الإسكوريال التي تبعد عن مدريد نحو سبعين كيلاً، ويزورها أكثر من مرة، ويطّلع على كثير من مخطوطاتها ويصفها، وينسخ منها، ويعلّق على مادّتها، ويصوّر بعضها.

وكان حين يحط في مدينـة ليطّلع على مخطوطاتها، يسـمع أن بمدينة أخرى مخطوطات، ولم يكن في خطته زيارتها، فيسافر إليها غير يائـس من مظنّة فائدة علمية يجنيها على أن يعود إلى إكمال مأربه الأول.

ويندر أن يظهر في كتابه وهو يشد الرحال للمخطوطات أنه جاء ـ بإزائها الهدف الأول ـ للعلاج، فقد كانت المخطوطات تنسيه نفسه، وتستنفد صحته وماله، فيرهق من كثرة المطالعة والنسخ، ويصرف الأموال في تصوير ما يريد منها.

ويحدث أن يزور المدينة أكثر من مرة إذا ما أحس أن زورة واحدة لا تشبع رغبته في الاطّلاع، فيزور إستانبول ثلاث مرات، لأنها تحوي من تراث العرب والمسـلمين ما لم تحوِهِ مدينة غيرها، يطوِّف في خـزائن كتبها، وينقّب عن نفائسها، ومثلها باريس التي زارها مرتين، ومكتبة الإسكوريال في إسبانية التي زارها مراراً في أعوام مختلفة.

وهو في زيارته لخزائن الكتب يحرص على ذكر أعداد مخطوطاتها، ومن ثم يفصل في تاريخ هذه المكتبات ونشأتها ومصادرها انظر ص١٢٤ وما بعدها، ويفصل في مكوناتها وفهارسها، ومدى قدرة هذه الفهارس على الكشف عن كنوزها، ويذكر ما ضمَّ إليها من خزائن كتب أخرى، كما فعل في حديثـه عن المكتبة السليمانية بإستانبول (١٢٥ ـ ١٢٨).

ويلمس الجاسر إشكالية من إشكاليات المخطوطات العربية وهي أن

معظمها حتى الآن في المكتبات العامة لم يتم إلا فهرسة جزء بسيط منها، فضلاً عمّا في المكتبات الخاصة، وبما في ذلك من الخلط والخطأ في الفهارس، ويكرر عدم ثقته بهذه الفهارس في أكثر من موضع[1].

ونعثر في كتابه على إشكالية أخرى من إشكاليات المخطوطات العربية، وهي تعرّضها للتلف من أكل أرضة، وطمس رطوبة، الأمر الذي يدعو إلى الاهتمام بسرعة الترميم الفني قبل استفحال هذا التلف.

والمؤلف بدرايته الفذّة بالمخطوطات العربية، وبسعة خبرته فيها، يفتح عيون الخريجين من الشباب العرب الذين لديهم استعداد للتوجّه إلى التراث والنظر في المخطوطات اختياراً وتحقيقاً ودرساً، إلى مسائل لا يعرفها المبتدئ في هذا الميدان، وبهذا يعلمهم دروساً نافعة فيه، ومن الدروس الأولى اهتمامه بالنسخ الأم النفيسة، وبرصد السماعات على العلماء، وذكر التملكات والخطوط المسجلة على المخطوطة من قبل علماء معروفين، ص١٦٩، ١٦٢، ٣٣٤، ويتعقب في النسخ المخطوطة النساخين العلماء، ويعنى بجمع تراجمهم وتنقلاتهم، ص٢٤٨.

ويولي عنايته بفروق النسخ حيث تكون هذه الفروق في المادة نقصاً أو تماماً، يقارن في هذه الحالة بين نسخة وأخرى في بلد آخر كان قد رآها وسجل ملاحظاته عليها، والعجيب أن ذاكرته تتسع لكثير من هذه الفروق، فيستطيع أن يقرر أن نسخة مكتبة كذا هي من أجود نسخ الكتاب. ص(١٦١ و١٠٣ـ١٠٥).

وتطول خبرة الجاسر، وتتسع دائرة معارفه في التراث اتّساعاً عظيماً، فنرى منه عجباً حين ينقب في مخطوطة، فيكشف عن جديدها، أو يعرف مكنونها، أو يصحح خطأها دون الرجوع إلى مصدر من المصادر، ولاشك في أن مثل هذه الثمار هي حصاد سنين من القراءة والاطلاع والدرس، ويشيع في

---

(١) انظر ص١٥٤، ١٧٨.

هذا الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القبيل، يتضح فيها أن مغاليق المخطوطات قد فتحت للجاسر.

ومن دروسه التي لا تتوفر إلا لمن طالت خبرته وعظمت معرفته ودرايته بحيل الورّاقين وتزويرهم في سبيل محاولة إبراز كتبهم بصورة الكمال والندرة، نراه في كتابه بصيراً بهذه الحيل دون أن تنطلي عليه.

ومع شغف الجاسر الكبير بالتراث وتقديره له، لا يعدّه ذا قدسية مطلقة وأنه بمنأى عن النقد، وكان لا يتوانى عن بيان ما فيه من خرافات لا يصدقها عقل. ص(٨٩، ١٤٦، ١٨٨).

ومن المدهش حقاً أن يزوِّد القارئ بمعلومات فلكية طيبة، ومهما كانت هذه المعلومات فإنها تدلّ على سعة اطّلاعه، وعلى تنوع معارفه (ص٢٩٣).

وكان منهجه في اختيار المخطوطات والموضوعات ينصبّ في كثير من الأحيان على المؤلفات النادرة التي لها صلة بالجزيرة العربية أو أدبها أو جغرافيتها في العهد القديم مما هو غير معروف (ص١٤٨).

وحين نخرج من دائرة المخطوطات العربية الواسعة، نراه يدخل في دائرة أصغر ذات علاقة وثيقة بالتراث العربي وتحقيقه، وهي دائرة المستشرقين، فقد كان للجاسر صلة ببعضهم، وله رأي سديد في غاياتهم وأعمالهم، ودورهم في خدمة التراث وتحقيقه ودراسته، وما وقعوا فيه من أخطاء.

وكان حريصاً على أن يزور مراكز الاستشراق والجامعات والمعاهد التي تُعنىٰ بنشر النصوص العربية والدراسات حولها، فحين يصل إلى هولندة يسارع إلى زيارة مدينة ليدن، لأنها من أهم مراكز الاستشراق في أوروبة، ففيها مطبعة برِيل ومكتبتها التي تُعدّ أكبر مطبعة أصدرت ومازالت تُصْدِر نوادر كتب التراث العربي، ومن أهم ما أخرجته (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث) و(دائرة المعارف الإسلامية)، وكان حريصاً على أن يلتقي المستشرقين في بلادهم أو مؤتمراتهم.

غير أنه ينبّه إلى الدافع لكل ما تقدم لا يخفى على أحد، لقد كانت هذه الوسائل في أول الأمر بهدف السيطرة على الشعوب بأي نوع من أنواع السيطرة ـ سياسية أو فكرية أو دينية ـ، ثم اتّجه بعض المستشرقين ـ وقليل ما هم ـ وجهة أخرى، هي الوجهة العلمية الخالصة بعد أن تطوّرت الحياة وتغيّرت أساليبها، وانتفضت الشعوب انتفاضة القوة والعلم، ووجد بين العرب أنفسهم من العلماء مَنْ لا يقل معرفة وسعة اطّلاع عن كبار أولئك المستشرقين منهم، بل يفوقهم بفهمه لكثير من أحوال أمته، ومن هنا يصح القول ـ عنده ـ بأن دور المستشرقين قد انتهى (٣١٧ـ٣١٨).

ومن باب حبه للعلم وحديثه عنه اهتمّ بالغ الاهتمام بأصدقائه وتلاميذه من المشتغلين بالتراث، وكان وفياً لهم، كريماً معهم، وفي فكره دائماً أخبارهم العلمية وما يحتاجون إليه من نسخ المخطوطات، وكان في تجواله للبحث عنها يصوّر ما يحتاجه ذلك الصديق أو أحد التلاميذ دون أن يكون قد طلبه منه، ويهديه المُصَوَّرة دون مقابل أو كان ـ على أقل تقدير ـ يكتب إلى الصديق أو التلميذ بفائدة وجدها، وهو يعلم أنها تهمّه، أو يبعث إليه بخبر عن نسخة عثر عليها أو ملاحظة يفيد منها (ص٢٦، ٩٥، ٣٣١).

ومن صفاته اللازمة له أن كان فَكِهَ الروح، لا يفقد الروح في أحلك الأوقات وأضيقها، وكان يبتدع صوراً مضحكة ولو كانت على نفسه، وتظهر مثل هذه المواقف الساخرة في أكثر من موضع من كتابه (ص٢١٩، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩).

وأكثر ما يميّز كتاباته كثرة محفوظه من الأشعار والأمثال، وقد حصر الأستاذ عصام الشنطي هذه الرحلات تاريخاً؛ فأقدمها مما ظهر في الكتاب في الربع الأخير من عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وأحدثها وقع في صيف ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، فكان الزمن الذي قطعت فيه هذه الرحلات نحو ثلاثة عشر عاماً.

* * *

رسائل في تاريخ المدينة[1]

١ ـ وصف المدينة المنورة

٢ ـ التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة

٣ ـ الوفا بما يجب لحضرة المصطفى

٤ ـ حوادث تتعلق بالحجرة النبوية

٥ ـ بناء سور المدينة

٦ ـ وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدني

قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر

الرسالة الأولى: وصف المدينة المنوّرة لعلي بن موسى.

هذا الكتاب هو الأول من نوعه مما وصل إلينا من تواريخ المدينة المنورة من حيث مادته الجغرافية والأثرية ـ كما يرى عبيد مدني مؤرخ المدينة وشاعرها الذي كتب مقدمته عن الكتاب ومؤلفه ـ فقد عُني مؤلفه بوصف المدينة في الفترة التي كان يعيش فيها وصفاً يكاد يكون جامعاً، ولم يدّخر جهداً في الحديث عن ضواحيها وما فيها من بساتين وعيون وآبار ونخيل ومدارس وزوايا، وجعل فصلاً مستقلاً للمسجد الشريف.

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض، تاريخ المقدمة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، المقدمة (٧٢) صفحة + النصوص (١٩٧) صفحة + الفهارس (٤٧) صفحة، وسأعرِّف بأهمها.

ولم يطرأ على خطط المدينة التي رسمها المؤلف تغيير جذري حتى عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، وسيكون هذا الكتاب مرشداً لمعرفة الأماكن فيما عفت رسومه، أو تبدّلت أوضاعه لما تعرض لذكره المؤلف، ومن هنا تبدو جدواه وطرافته، وقد كتبه مؤلفه عام ١٣٠٣هـ. وجاء هذا الكتاب على غرار كتاب الخطط التي وضعها المهتمون بأوطانهم كالمقريزي من القدماء، ومحمد كرد علي من المُحْدَثين.

أما المؤلف فلم يظفر الجاسر بترجمته، وما عرف عنه أنه كان رئيساً للقلم العرب في ديوان محافظة المدينة، واسم الوظيفة في العهد العثماني (باش كاتب)، وكان إماماً مالكياً في المسجد النبوي الشريف، وكان حسن التصرّف لبقاً، وكان ذا ثروة ورخاء وعيش، وله اشتغال بتواريخ المدينة، كتب بخطه كتاب (وفاء الوفاء) للسمهودي، وكان حياً عام ١٣١٩هـ.

عمل الجاسر في تحقيق هذا الكتاب: كتب مقدمة طويلة له، تحدّث فيها عن محتوياته ومآخذه على الكتاب، ووصف المخطوطة وهي في دار الكتب المصرية برقم (٣١٦٦٠/ ١٦٤٤)، وأشار إلى عيب هذه المخطوطة وهو كثرة الأخطاء الإملائية التي حاول الجاسر إصلاح بعضها، وأبقى بعضها، أما الأخطاء النحوية واللغوية الكثيرة فقد أبقاها على حالها بعد أن وضع بجانبها علامة استفهام (؟) كما وضعها بعد كلمات لم يتضح له قراءتها من الأصل، وهناك كلمات أخرى لم تتضح له أيضاً فوضع مكانها نقطاً [. . .] وأشار إلى أول كل صفحة من المخطوطة بأرقام متسلسلة، ووضع حواشي قليلة جداً.

انظر ما كتبه الأستاذان عبيد مدني وحمد الجاسر عن الكتاب والمؤلف ص٥ ـ ٢١)، وانظر نص الكتاب ص١ ـ ٨١، وأنبّه هنا على أرقام صفحات المقدمة التي كتبها الجاسر ومدني هي في أعلى الصفحات، والنص في أسفها.

الرسالة الثانية (التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة): لمحمد بن الخضر الرومي، ولم يجد له الجاسر ترجمة فيما بين يديه

من مصادر، وذكر الدكتور عبد العزيز الأهواني أنه توفي سنة ٩٤٨هـ ـ ١٥٤١م ولم يذكر مصدره في ذلك.

وفي هذه الرسالة نبذة تتضمن ما وقع من العماير بسور المدينة والمسجد النبوي الشريف والمنارة السنية.

الرسالة الثالثة (الوفا بما يجب لحضرة المصطفى) للسَّمْهودي، وضمت ثلاثة أبواب:

الأول: في ذكر حريق المسجد النبوي الشريف سنة ٦٥٤هـ والإصلاحات في الحرم النبوي.

الثاني: في بيان وجوب إزالة ما سقط فوق القبر الشريف، والكلام على حياة الأنبياء في قبورهم، وقصة الرجلين اللذين حاولا إخراج جسد النبي ﷺ.

الثالث: في بيان حال جماعة من سكان المدينة.

وتحوي هذه الرسالة معلومات قيّمة ذات صلة بتاريخ المدينة، ومنها ما ليس مذكوراً في كتاب (وفاء الوفاء).

عمل الجاسر في هذا الكتاب:

بسط الحديث عن السمهودي ومؤلفاته، ورتّب مؤلفاته، وهي ستة عشر مؤلَّفاً على حروف المعجم، وعرض لمصادر السمهودي، ورتّبها باعتماد أسماء مؤلفيها على حروف المعجم، كما عرض لاحتراق كتب السمهودي وشعره.

وتطرّق لذكر بعض المآخذ على هذا الكتاب وبعض كتب المؤلف الأخرى.

* * *

شعر الشَّنْفَرَى الأَزْدي
لأبي فيد مُؤَرِّج بن عمر السَّدُوسي[1]

بدئ الكتاب بفصل كتبه الجاسر (الشنفرى في ذاكرة الأجيال) ص٧ـ١٤، وأورد فيه سبب إعادة طبع شعر الشنفرى، فذكر أن المحقق تصدّى لتحقيق شعر الشنفرى اعتماداً على أصل عني مؤلفه فيه بجمع شعره مضيفاً إليه المحقق ما اطّلع عليه في أمهات كتب الأدب واللغة، مما استطاع العثور عليه من شعر منسوب للشاعر، وأثنى على عمل العلاّمة عبد العزيز الميمني بإيراده مقطوعات من شعر الشنفرى، وتطرق الجاسر إلى ما ورد من أخبار الشنفرى في تراثنا، وما ورد بشأنها من زيادات ومبالغات وخيالات، وخلص إلى صحة كثير من أخباره وأشعاره قائلاً: ولكن الخيال فيها ـ كما هو في كثير مما وصل إلينا من معارف مَن تقدَّمنا من الزمن ـ لم يبلغ من التأثير فيها درجة تحملنا على اطّراحها والانصراف عمن نُسبَت إليه، ولو سلكنا هذا النهج لم يبقَ في أيدينا من تراثنا الأدبي شيء.

ثم تلاه مقدمة المحقق، فتحدث مفصّلاً عن اسم الشنفرى ولقبه ونسبه ونشأته الغامضة وحياته، وتكلّم عن شعره والشك فيه خاصة لاميَّتِه:

لامية العرب ومطلعها:

أقيموا بني أُمِّي صُدورَ مَطيِّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ

---

(١) تحقيق وتذييل الدكتور علي ناصر غالب. كلية التربية ـ جامعة بابل، راجعه الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م، (١٥٨) صفحة، ١٧×٢٤.

ولامية العجم، ومطلعها:

إنّ بـالشِّعْـب الـذي دون سَلْـع لقتيـلاً دمُـهُ مـا يُطَـلُّ

ورجّح أنهما للشنفرى لأدلةٍ ذكرها، وبيّن أن الخلاف في لامية العرب لم يصل الخلال في نسبتها إلى الشنفرى، ذلك الخلاف في نسبة لامية العجم إليه.

وختم مقدمته ببيان عمله في التحقيق والجمع ووصف المخطوط، وأورد ترجمة الشنفرى من كتاب الأنساب للصُّحاري، وفيها تصحيح لما ورد في مختلف المصادر بشأن ترجمة الشنفرى وأشعاره.

ثم شرع بتحقيق شعر الشنفرى ص(٥٤ ـ ١٠٨) غير مرتب القوافي، فالذيل وهو الشعر الذي لم يرد في المخطوط، استقاه من مصادر الأدب العربي الأخرى، مضيفاً إليه لامية العجم ص(١٠٠ ـ ١٢٣).

ومجموع شعره خمس وعشرون مقطوعة، عدد أبياتها (٢١٩) بيتاً، وسبعة عشر رجزاً.

ثم جاءت الفهارس العامة وعددها أربع، وهي الأمثال (ص١٢٥)، فالمفردات اللغوية التي وردت في شعر الشنفرى (ص١٢٥ ـ ١٣٥)، فأسماء القبائل الوارد في الديوان مع التعريف بها (ص١٣٦ ـ ١٤٢)، وقد صنعها الجاسر ورتّبها ترتيب المعجم وعددها ستة عشر اسماً، فالمواضع (ص١٤٣ ـ ١٥٥)، وقد صنعها الجاسر أيضاً ورتّبها ترتيب المعجم وعددها اثنان وأربعون موضعاً، فالأعلام (ص١٥٦)، فالشعر مرتّباً على القوافي (ص١٥٧ ـ ١٥٨)، أما الكتب ومؤلفوها فهي من الكثرة بحيث لا تخلو منها صفحة.

* * *

صفة جزيرة العرب[1]

للسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

كتاب الهمداني هذا أهم أثر خلفه لنا المتقدمون في تحديد معالم الجزيرة العربية، وهو من أقدم الكتب الجغرافية في الجزيرة العربية وسكانها، وهو أشهر مؤلفات الهمداني بعد كتاب (الإكليل)، وقد ورد باسم (جزيرة العرب)، وأكثر مادته في جغرافية الجزيرة العربية واليمن وسكانها ونباتها ولغات أهلها وغير ذلك من المعلومات الكاملة التي تعبر عن غزارة علم الهمداني، وإبداعه وتقدمه في كل ضروب العلم وجوانب المعرفة.

والكتاب لم يصلنا كاملاً، وقد تسرّب التصحيف والتحريف إلى مخطوطات الكتاب خاصة في أسماء المواضع، وقد بذل محققه محمد بن علي الأكوع - وارث علم الهمداني ومحيي آثاره، ومؤرخ القطر اليماني في عصره - جهداً مضنياً في تتبّع أكثر المواضع اليمنية بحثاً بين سكان جهاتها، وقد تكبّد المشقّات في التجوّل في جهاتها في أغوار الأودية، أو في قلل الجبال مع صعوبة المسالك، وعدم توفر وسائل الاتصال، فكان من مشاهداته وخبرته وسعة علمه في تلك البلاد خير معين على تصحيح جلّ ما وقع في أسماء المواضع اليمنية الواردة في الكتاب.

---

(١) تحقيق محمد علي الأكوع، إشراف حمد الجاسر، دار اليمامة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٥٨٣) صفحة، ١٧×٢٤، مقدمة الجاسر (٣٦) صفحة، النص (٣٩-٤٥٨)، الفهارس (٤٥٩-٥٧٦) الأخطاء المطبعية (٥٧٧-٥٨٣).

ما قام به الجاسر :

عمل الجاسر الذي عهد إليه المحقق الإشراف على الطبع وأباح له أن يضيف أو يحذف ما يراه مما لا يمس بجوهر عمله.

حاول أن يوضح من أسماء المواضع النائية عن اليمن ما قد يكون من خطأ الناسخ، أو هفوة المؤلف، أو يضيف إلى التعريف بالموضع، أو وصفه على ما هو عليه الآن، ما قد يحتاج إليه القارئ، غير أنه رأى هذا العمل يضاعف حجم الكتاب، بل يخرج عن النهج المألوف في التحقيق إلى عمل هو بالشرح ألصق...

لهذا انحصر عمله في إضافة كلمات موجزة إلى ما كتبه المحقق، وفي مقابلة الأصل الذي نسخه وعلق عليه بمخطوطة لدى الجاسر من الكتاب، وهي ليست بأقل من غيرها سوءاً وتصحيفاً، وعهدها لا يتجاوز ما قبل القرن العاشر مع نقصها ورمز لها بحرف (ح)، وكتب ترجمة للهمداني تحدّث فيها عنه وعن مؤلفاته واسترسل في ذلك، وجاءت ترجمته في (٢٧) صفحة.

* * *

في سراة غامد وزهران
نصوص مشاهدات انطباعات[1]

هذا الكتاب يتحدث عن سروات الحجاز الواقعة جنوبي سراة الطائف، ويتحدث عن سكانها قديماً وحديثاً، وعن نباتها ومواضعها الجغرافية مع ذكر أنساب السكان، وأشهر القرى والمعالم التاريخية. وتشكل أقسامه وحدة كاملة من رحلة تدخل في صميم الأدب الجغرافي العربي.

والسراة لغة: سراة كل شيء أعلاه وظهره ووسطه، والسروات في القسم الجنوبي من الحجاز كثيرة من أشهرها سراة غامد وزهران، فقبائل زهران تنتشر في القسم الشمال الغربي منه، وقبائل غامد تنتشر في القسم الجنوب الشرقي.

و(غامد وزهران) اسمان يطلقان على قبيلتين كبيرتين تسكنان في السراة، وتنتشر فروعهما في تهامة وفي سفوح السراة الشرقية، وكانت إمارة غامد وزهران تابعة لإمارة الطائف، ثم فصلت وأصبحت إمارة على حدتها متصلة بوازرة الداخلية، ومساحتها نحو (٣٦٠٠٠) كم.

وهذا الكتاب في الأصل مشاهدات وانطبعات من رحلة قام بها الجاسر إلى تلك السراة الممتدة من مدينة الطائف شمالاً إلى بلد اليمن جنوباً عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م وينقسم إلى ثلاثة أقسام.

الأول: (مجمل الرحلة) تتحدث فصوله عن وصف الرحلة بين مدينتي

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٩٣١هـ ـ ١٩٧١م، (٥٩٥) صفحة ـ ١٧×٢٤.

الطائف والباحة قاعدة الإمارة مروراً بشمرخ أول السراة، وفصّل القول في موقع الإمارة ومساحتها والتراتيب الإدارية فيها، والتعليم والحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأطنب في الحديث عن المواضع التاريخية كوادي أبيدة، وقاس المسافات بين قرى الإمارة، وأورد القرى والمواضع المأهولة التي مرّ بها أو بقربها، ورتبها على حروف المعجم، ثم العشائر والبطون ورتبها على حروف المعجم.

الثاني: يعنى بتدوين الأصول التاريخية لهذه المنطقة الشاسعة، ويتناول فيما يتناوله أصل نسب زهران وغامد، ولمحة عن أصول كتب الأنساب واختلاط الأنساب ببعضها، واسترسالاً في الحديث عن قبيلة الأزد.

وفي هذا القسم لمحات تاريخية عن انتشار قبيلتي غامد وزهران خارج السراة، وإشارة إلى أماكن انتشارهم في عُمان ومصر والعراق، وحديث عن أخبار القبيلتين في الزمن الجاهلي والزمن الإسلامي، وتعريج على مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية، وتعليل لسبب اشتهار قبيلة دوس دون غيرها من قبائل الأزد، وأورد الجاسر بعض أعلام قبيلتي غامد وزهران في العلم والجهاد والشعر وترجم ترجمة مفصلة للمختار بن عوف.

الثالث: لمحات عن بقية سروات الحجاز وأشهرها، فذكر الجاسر بعض أسمائها ورتبها على حروف المعجم، والمواضع المذكورة في السروات وأوديتها وقراها ومناخها ومعادنها، وزراعتها ورتب أسماء النبات وهي(٦٦) اسماً على حروف المعجم.

وأسهب في الحديث عن سكان سروات الحجاز من الأمم القديمة كثمود والأنباط والعماليق وغيرهم، وأورد أشهر القبائل التي تسكن السراة في العهد الإسلامي وما بعده إلى زمننا الحاضر، ورتبها ترتيب المعجم وهي (٣٧) قبيلة، وأشار إلى تحديد منازلهم فيها على طريق الإيجاز.

وختم الكتاب بفصل (السراة من معاقل الضاد) فأبان أن سكان السروات

عُرفـوا منذ القدم بكونهم من أفصح النـاس، ومرد ذلك كون بلادهم بعيدة عن الاختلاط بمن ليس عربياً، وهم لم يتأثروا بعد بتغير اللغة التي كانوا يتوارثونها من قرون عديدة، ويتكلمون بلهجة عربية سليمة لم تداخلها العجمة وإن لم يتقيدوا بقواعد الإعراب.

* * *

في شمال غرب الجزيرة

نصوص، مشاهدات، انطباعات[1]

هذا الكتاب ألَّفه الجاسر بعد أن زار وتجوّل في الجزء الشمالي الغربي من السعودية إلى حدود العراق فالشام فالأردن وشرقاً إلى الكويت، وقطع بواسطة السيارة آلاف الأميال في أوقات مختلفة، ورأى من العبث ألاَّ يكون لهذه الرحلات من الأثر ما لا يستفاد منه، فأزمع تسجيلها مضيفاً إليها معلومات أوردها كاملة بنصوصها من كتب معروفة قد لا يتسنّى لكل قارئ الاطّلاع عليها، مضيفاً إليها أيضاً مشاهداته بأسلوب شائق ممتع، يستهوي القارئ فتلذّ له متابعته، سجل بعضها على شكل يوميات، وقد أعانه على ذلك حسن استقبال قومه له وكرم وفادتهم.

فالجزيرة العربية بحاجة لدراسة متعددة النواحي، ذلك أنها مهد العرب، ومنها نبع الشعراء الذين كان في شعرهم معيناً لتدوين اللغة العربية، ومنها شعّ الإسلام وانطلقت الفتوحات الإسلامية، التي ملأت الأرض عدلاً ونوراً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

كانت رحلات الجاسر إلى شمال غربي الجزيرة بين سنتي ١٣٦٧ و١٣٩٠هـ، شاهد فيها أهم المواقع الأثرية من حدود الأردن فتبوك فالعُلا فالمدينة المنورة، ثم من المدينة إلى خيبر وما حولها راجعاً إلى المدينة سالكاً

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، (٦٧٥) صفحة، ١٧×٢٤.

طريق الحج القديم إلى حايل، ثم من المدينة إلى خيبر فتيماء فتبوك، وزار وادي السرحان والجوف.

وشاهد في رحلاته الثلاث أشياء عني بتسجيلها، ورأى مواضع كثيرة لم يوفها المتقدمون حقها من التحديد في جنوبي الحجاز، مثل: أبيده، وثروق، وبقران، وهي مواضع أثرية قديمة وردت كثيراً في الشعر القديم، واضطربت أقوال المتقدمين في تحديدها، فحاول توضيح ما يعرفه عنها معرفة قائمة على أساس: (ما راءٍ كمن سمع)، فالرؤية والمشاهدات تمكنان المرء مما لا يستطيع غيره أن يدركه.

وفيما قدّمه الجاسر في كتابه هذا:

١ ـ تسجيل موجز لمشاهداته عن الأمكنة التي مرّ بها، وفي هذا التسجيل بعض آراء استنتجها.

٢ ـ حاول أن يورد كثيراً من أقوال المتقدمين المتعلّقة بوصف المواضع وتحديدها، وقد يكون فيما أورده من التكرار ما لا يستسيغه القارئ، وذلك أن المتقدمين ينقل بعضهم عن بعض، وقد يضيف أحدهم إضافة ذات قيمة على إيجازها.

٣ ـ هناك مواضع أوشكت أن تكون مجهولة، ولكنها ذكرت في الشعر العربي القديم، وقد حرص على إيراد كل ما عرف منها مما قرب من الأمكنة التي زارها كي يستفيد دارسو الشعر معرفة تحديد المواضع.

٤ ـ ذكر المواضع القريبة من المواضع المعروفة غير أنها لاتزال مجهولة، وقد وردت في أقوال المتقدمين أو أشعارهم.

٥ ـ حاول ذكر الاسم الحديث للموضع القديم مثل جبل تيماء، وقد كان يعرف باسم (حدد)، ويدعى الآن جبل عُنَيم.

٦ ـ حاول إصلاح بعض أخطاء في معلومات جغرافية (خرائط) وهي التي

طبعت من قبل وزارة النفط والثروة المعدنية.

وبالإجمال فقد قدّم الجاسر للقارئ خلاصة وافية مما بين يديه من المؤلفات القديمة أو الحديثة، وهي مؤلفات على درجة من الكثرة قد لا يتسنى جمعها لكل قارئ.

* * *

في الوطن العربي
من رحلات حمد الجاسر[1]

ويحوي وصفاً لمشاهدات الجاسر للبلاد العربية التي زارها، وإبداء لمحات تاريخية حولها، وكانت تلك الرحلات في فترات متباعدة من الزمن ١٩٦٠ ـ ١٩٩٨ ومرامه معرفة أحوال البلاد العربية وتقوية أواصر الأخوة بأهلها، ولاستزادة المعرفة بالاتصال بعلمائها ومثقفيها وزيارة محافل العلم فيها. وقد يكون مرامه منها السفر إلى بلد للاطلاع على مخطوطة كسفره إلى العراق للاطلاع على مخطوطة بلاد العرب للأصفهاني، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨. وهو إذا حلّ مدينة وصفها وتحدث عن مناخها وسكانها وعادات أهلها ومعاملاتهم، وربما تحدث عن لباسهم.

ويعد هذا الكتاب أشبه ما يكون بالمذكرات أو الذكريات، فقد تحدث فيه عن ولادته وتعلمه والوظائف التي تولاها وما تبع ذلك من طرائف ومواقف.

ونجد فيه عزة العلماء واستعلاءهم وكرامتهم، فحينما حضر مهرجان الكندي في بغداد، وأطل الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم على الحاضرين من شرفة من الطابق الذي فوق المؤتمرين، وقف الحضور جميعهم واتجهوا ينظرون إليه، أما الجاسر فلم يهب واقفاً، وقال للشيخ محمد الفاسي بعد أن أمسك بطرف برنسه: العلماء يقام لهم، لا يقومون حين يطل عليهم هذا من عليائه، ص٢٧٣.

ونجده يبتعد عن أهل السلطان، فهو يعتذر عن لقاء الشيخ زايد بن سلطان رئيس الإمارات العربية ص٣٣٨، ونجده يهرب من التقاط صورة ضمن

(١) منشورات مجلة العرب ـ الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، (٤١٢) صفحة ١٧×٢٤.

المشاركين في مؤتمر بلاد الشام مع الأمير حسن بن طلال ولي عهد اللأردن السابق، ثم يدركه الأمير ما شياً فينزل من سيارته ويستقبله هاشّاً باشّاً معانقاً حاراً فقال له الجاسر: إنك باكرام العلم والعلماء تكرم نفسك وتعلي مقامك ص٢٥٧ـ٢٥٨.

وهو يزور خزائن الكتب أينما حلَّ، فهو من أول الداخلين إلى دار الكتب المصرية وآخر الخارجين منها، ويصحح أسماء الكتب ص٢٠٢.

ويصف بعض الكتب التي اطلع عليها في فهارس الكتب والمخطوطات ويصحح بعض الأخطاء فيها ص٢٦٩، ٢٩١، ٣٠٣، وينقد الكتب كنقده كتاب دليل الخليج ص٣٦٦، ورسائل الصابي والشريف الرضي، وتحقيق كتاب العبر للذهبي ص٣٩٥.

وينثر فوائد لطيفة فيصف الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة ص٨٥ـ٨٦، ويحدد مدفن حاتم الطائي ص١٠٢.

ونراه فيما يكتب يستشهد بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر وما أكثر ما يستشهد به، ويستشهد بالأمثال.

ويورد قصيدة بخطه كتبها عام ١٣٥٢هـ ص٤٧ ـ ٤٨، ونجده لا يخجل من أن ينبذ شعره، ويقول عنه: وأكثره نظم غث بارد ضعيف المعاني مختل المباني. انظر ص١٧، ٤٥، ٦٣.

ولا يتورع أن يقول النكته على نفسه ص٦٣، ٦٤، ٢٢٣، ٢٤٦ ويرى في المؤتمرات أن فائدتها تنحصر في التعارف، فالمؤتمرون من العلماء قد يستطيعون رسم الطريق وايضاح الوسائل وليس لديهم ما هو أكثر من ذلك.

والجاسر في أسفاره لا يثقل على اخوانه ويقول عندما نزل صنعاء: ولي في صنعاء إخوة كثيرون، منهم من يتولى رفيع المناصب، ولكنني أبديت الرغبة أن تكون جميع أموري في هذه الرحلة تسير وفق الطريقة التي رسمتها، لا أثقل

على أحد من إخواني ولا أكلف نفسي تحمل أفضال المفضل علي ولو كان عن كرم وسماحة نفس.

ونلقى في كتابه تعليقات متناثرة، وخواطر عابرة مبثوثة، تأتي مناسبة لمقتضى الحال.

* * *

القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد لسليمان بن صالح الدخيل[1]

يمكن تقسيم هذا الكتاب إلى قسمين الأول: يتعلق بتاريخ نشوء الإمارة قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري، عندما نشأت إمارة آل فضل، وعنها تفرعت إمارة آل علي التي خلفتها إمارة آل رشيد، في هذا القسم معلومات المؤلف على درجة من التفاهة والضعف، بحيث لا يصح التعويل عليها، وهذا ما دفع الجاسر إلى الاكتفاء من الكتاب بالقسم الآخر المتضمن ذكر إمارة آل رشيد.

والقسم الآخر يتحدث عن إمارة آل رشيد منذ إنشائها حتى زوالها، ويصف أهم الحوادث التي وقعت في ذلك العهد. ويذكر القرى وموارد البادية في بلاد حايل وما كان تابعاً لإمارتها في عهده، وأورد أسماء أمكنة مجهولة أو غير صحيحة أشار الجاسر إلى وجه الصحة فيها، وقد ألفه سنة ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م.

ويقول الجاسر في الكتاب: إنه خير ما ألف على قلة جدواه، ولا يعول على ابن دخيل في جل ما تحدث به عن القبائل.

* * *

---

(١) طبع مع نبذة تاريخية عن نجد لضاري بن فهيد الرشيدي، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة - الرياض، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص١٣٣ - ١٧٠.

كتاب الجوهرتين[1]
العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء
للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني

يحتوي هذا الكتاب على معلومات قيمة عن مناجم الذهب والفضة ومواقعها وأسمائها في بلاد العرب والأعاجم التي اندرس معظمها من أذهان الناس لتقاوم العهد.

وهذا الكتاب من أجود مؤلفات الهمداني وأنفعها، ويعدّ فرداً في موضوعه، فهو يتعلق بالذهب والفضة، من حيث تعدينهما وصياغتهما، وكل ما يتصل بهما، فإننا لم نعرف مؤلَّفاً عربياً عُني بالتعدين في بلاد العرب، وفي ذكر معادنها المشهورة، وفي كل ما يتعلق بصناعة الذهب والفضة قديماً كهذا الكتاب.

يضاف إلى هذا أن مؤلفه جمع معلومات أكثر كتابه مما اكتسبه وعرفه عن مشاهدة وخبرة، أو تلقاه عن أناس عاصرهم، باستثناء أشياء نقلها عن بعض المتقدمين، تتعلق بتكون الذهب والفضة، وبصلة البروج والكواكب بتغيرات الأرض التي منها التأثير في المعادن. والمؤلف في هذا الكتاب باحث دقيق الملاحظة، صائب النقد، يستوعب آراء الذين سبقوه وعاصروه، ويقدم شرحاً

---

(١) أعده للنشر بإيضاح بعض غوامضه وإعداد فهارسه وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب حمد الجاسر ـ الرياض ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، (٤٩٣) صفحة ١٧×٢٤.

تفصيلياً لعملية تعدين الذهب والفضة ابتداءً من الحصول على الخام من منجمه وانتهاء بصب قوالب الذهب والفضة الخالصتين، وإيضاح استخدامها في صناعة الحلي وترصيع التيجان، وتزيين صفحات القرآن الكريم وغيرها، وشرح صناعة السبائك ومعالجة الحديد الخام، والحصول على الفولاذ اللازم لصناعة السيوف وبعض أنواع الأسلحة الأخرى.

وهذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن لسلفنا الصالح آثاراً نافعة في جميع العلوم، وإن شاب تلك الآثار نقص أو اعتراها ضعف في بعض المواضع، ومردّ ذلك ثقة أولئك السلف بكل ما أُثِر عن اليونان من حكمة وفلسفة، ثقة دفعتهم إلى تلقي كثير من علوم القوم بدون تحقيق وبغير تمحيص، كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا.

وضم الكتاب المطبوع ما يلي: مقدمة الجاسر في (٤٤) صفحة، نص الكتاب من ص٤٥ ـ ٢٠٢. فتعليقات للجاسر في إيضاح معاني بعض الكلمات الواردة في الكتاب. الأرقام التي تشير إلى صفحات المخطوطة ٢٠٥ ـ ٣١٥. فإضافات في المعادن القديمة ٣١٧ ـ ٣٢١، فمواقع الذهب القديمة (٣٢٢) فمواضع الفضة القديمة (٣٢٨)، فمناجم النحاس القديمة ٣٢٨ ـ ٣٢٩، فرواسب الحديد ٣٢٩ ـ ٣٣٠. فرواسب الكروم (٣٣٠)، فبعض المعادن المعروفة قديماً وعددها (٩٢) معدناً ٣٣١ ـ ٤٢٣، فمعادن أخرى وعددها (١٦) معدناً ٤٢٤ ـ ٤٣٩، ففهارس تفصيلية ٤٤٣ ـ ٤٩٣.

عمل الجاسر:

لعل الجاسر تحمل مشاق كبيرة في تحقيق هذا الكتاب ما لم يتحملها في أي كتاب آخر وما قام به:

١ ـ محاولة تقديم أقرب صورة مما وصل إليه من مخطوطات الكتاب، فحافظ ما استطاع على نصوص النسخة التي عدّها أصلاً وهي النسخة السويدية ـ ورآها كاملة، وأضاف إلى الأصل ملحقاً به من الإيضاحات ما رأى في إضافته

فائدة للقارئ، لكي يستعين به على فهم النص مع استعصاء كلمات كثيرة على فهمه أوردها كما هي.

٢ ـ في الكتاب كلمات وأسماء آلات ذات صلة بالتعدين، استقاها الهمداني من أهل عصره من ذوي الصناعة في اليمن وأغلبهم من الفرس، مما لم يجده فيما اطلع عليه من كتب اللغة، ومن هذه الأسماء أو الكلمات ما وردت في المخطوطات بصور تقرأ على عدة أوجه، لخلوها من الإعجام، وقد حاول إبرازها كما وردت عندما لا يستطيع إدراك الوجه الصحيح منها، وكثير منها غير عربي.

٣ ـ رأى الجاسر أن القارئ بحاجة إلى إيضاح بعض جمل وردت في الكتاب، فوضع لذلك حواشي موجزة، ولكي لا يثقل بكثرتها رأى أن يلحقها بآخر الكتاب مرتبة حسب صفحات المخطوطة السويدية، وأن يلحق بالكتاب فهارس مفصلة لأسماء المعادن، وأسماء آلات الصياغة وأدويتها.. وقد يبسط القول في الكلام على المعادن أو ما له صلة بها من الآلات، لأن كثيراً من قرّاء هذا الكتاب قد لا تكون صلتهم بكتب المعادن بالدرجة التي تمكنهم من فهم بعض عباراتها.

٤ ـ موضوع الكتاب عن التعدين وعن المعادن في بلاد العرب وهذا مما لم يستوف الهمداني الكلام فيه، ولهذا ألحق الجاسر بالكتاب بياناً يحوي ما عرف من أسماء المعادن القديمة في بلاد العرب، وتحدث في المقدمة عن التعدين حديثاً موجزاً.

٥ ـ أورد المؤلف في كتابه كلمات يمنية قديمة، لم يستبن فهمها، لذلك قام الجاسر برحلة إلى صنعاء عام ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م لعله يجد بين علمائها من يستعين به في فهم بعض الكلمات التي استغلق عليه فهمه، فوفِّق في بعض ذلك.

تذييل وتذييب:

كتب الدكتور أحمد فؤاد باشا ـ أحد العلماء بالعلوم الكونية تعريفاً مهماً

بهذا الكتاب في مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ ص ٤٠٨ ـ ٤١١ وربيع الآخر ١٤٢٠هـ ص٥٨٩ ـ ٥٩٣ جاء فيه: ونقل الكتاب ما قاله معدنو الذهب والفضة من أنه ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن وهو معدن الرضراض، وقد ساعدت هذه المعلومات في عمليات الجيوفيزيائي التي تجري من سنوات في أرض اليمن لمعرفة موارده المعدنية والبترولية، وتم اكتشاف العديد من المناجم الهامة كخامات الفضة والزنك والحديد والرصاص وغيرها.

ومما ذكره (وهو مهم) أن الهمداني أرسى أول حقيقة جريئة في فيزياء ظاهرية الجاذبية، فهو قد سبق نيوتن في ذلك، وتحدث الهمداني أيضاً بظاهرة الزلازل وسماها (الرياح المحتقنة) وقد تضمن هذا الكتاب كثيراً من الآراء والنظريات المتقدمة في فروع العلم المختلفة، وذلك ليس غريباً لأن عملية إحياء التراث العلمي الإسلامي لم تنشط إلا منذ عهد قريب نسبياً.

* * *

المحمدون من الشعراء وأشعارهم
لعلي بن يوسف القفطي(١)

الكتـاب كما هو ظاهـر في ترجمة من اسمه محمد من الشعراء، وإيراد نماذج من أشعارهم، وعني القفطي بالشعراء الذين عاشوا في الجاهلية وفي صدر الإسلام حتى أوائل القرن السابع الهجري، جمع فيه ما وجده في الكتب الموجودة في عصره المفقودة بعضها الآن حتى أن كتابه يغني عن غيره، وكثيراً ما يزيد عليه فوائد وتقييدات من عنده، مما لا يوجد في الكتب قبله. فقد أنقذ من النسيان عدداً من تراجم الشعراء ومقطوعات جيدة من الشعر.

والكتاب لم يصل إلينا كاملاً، والموجود منه يبتدئ باسم محمد بن أحمد الرّقي، وينتهي باسم محمد بن سعيد البغدادي، وفي هذه الطبعة ينتهي بـ محمد ابن حَسول، أما محمد بن سعيد فمذكور في الترجمة رقم ٣٢٧ وفيه ذكر لـ٣٢٨ شاعراً، وبعض التراجم قصيرة جداً، وبعضه استغرق صفحات.

عمل الجاسر:

أضاف الجاسر الذي راجع التحقيق ما يلي:

١ ـ المقابلة بالمخطوطة الهندية التي بخط المؤلف، والتي نقلت عنها

---

(١) حققه وقدم له ووضع فهارسه حسن معمري، راجعه وعارضه بنسخة المؤلف حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، (٤٦٣) صفحة، ١٧×٢٤.

النسخة الباريسية أصل المحقق. وكاتب النسخة الباريسية قد تدفعه السرعة ـ أو غيرها من البواعث ـ إلى أن يقفز صفحة أو صفحات، ويدفعه ضعف قراءته للمخطوطة الهندية واستبهام بعض الكلمات فيها إلى تحريف تلك الكلمات، فكان أن أضاف النقص، وهو يبلغ (٣٠) ترجمة، أشار في الهامش إلى مواقعها، ووضع مكان الكلمة المحرفة صوابها اعتماداً على نسخة المؤلف (النسخة الهندية).

٢ ـ في الكتاب إحماض ومجون، وفيه من الآراء ما قد يعد منفِّراً من قراءته لغير الباحثين، مما لا تتقبله عقول فئة من الناس، مما يسبب حرمان طائفة كبيرة من القراء من الاستفادة منه، فعالج ذلك بتنبيهات موجزة أشار إلى بعضها بعلامة (*) ليخلي المحقق من التبعة.

٣ ـ راجع قليلاً من الكتب التي لم يتيسر للمحقق الاطلاع عليها، مما ورد لبعض المترجمين فيها ذكر، فأضاف في الحواشي على طريقة المحقق ورود الترجمة في الكتاب المذكور.

٤ ـ وصف مخطوطة المؤلف.

* * *

مختلف القبائل ومؤتلفها[1]

لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي

هذا الكتاب هو أول مؤلَّف وصل إلينا في موضوعه، وهو معالجة داء تصحيف الأسماء من رجال ونساء وقبائل، فيه ٣٠٥ مادة، وهو أصل كتاب الإيناس لابن المغربي، أضاف إليه ما أضاف، واستمر العلماء بعد ذلك يعالجون هذا الموضوع بتوسع.

عمل الجاسر:

حرص على أن يجد على مخطوطة هذا الكتاب فلم يوفق، واعتمد مطبوعة المستشرق الألماني فردناند وستنفلد أصلاً، ولحسن الحظ فإن كتاب الإيناس الذي حققه الجاسر يعدّ من الأصول التي ينبغي الاعتماد عليها بتصحيح كتاب ابن حبيب، ووضع الجاسر الأسماء عناوين مفردة زيادة في الإيضاح.

* * *

(١) أعده للنشر حمد الجاسر، طبع مع كتاب الإيناس لابن المغربي في كتاب واحد (٣٨٦) صفحة، ١٧×٢٤. مقدمة الجاسر لكتاب ابن حبيب ٢٨٥ ـ ٢٨٧، ينص ٢٩١ ـ ٣٧٢ الفهارس للكتابين ٣٧٣ ـ ٣٨٦.

مدينة الرياض
عبر أطوار التاريخ[1]

وهذا الكتاب خلاصة ما كتبه الجاسر عن مدينة الرياض في بعض الصحف والمجلات.

وهو يتحدث عن تاريخ مدينة الرياض من نشأتها حتى العصر الحاضر فبين الجاسر أن مدينة الرياض قامت على أنقاض مدينة حَجْر، ولهذا فإن تاريخ المدينتين واحد، وعرفت حجر بأنها أقدم قاعدة لإقليم اليمامة.

وتطرق الجاسر إلى سكنى بني حنيفة في اليمامة، وإلى حجر في عهد بني حنيفة في الجاهلية وصدر الإسلام خاصة في حروب الردة، وفي العهد الأموي والعباسي.

ثم انتقل للحديث عن الأُخيضريين الذين حكموا اليمامة منذ سنة ٢٥٣هـ إلى منتصف القرن الخامس، وواصل حديثه عن حجر في القرن الثامن والتاسع الهجريين.

وأبان الجاسر أن بروز اسم الرياض كان في القرن الحادي عشر الهجري.

وفي القرن الثاني عشر الهجري اطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر، وفي عام ١٢٤٠هـ أصبحت الرياض قاعدة للبلاد منذ

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٣٨٦هـ =١٩٦٦م، ٢١٥ صفحة، ١٤×٢٠سم.

عهد الإمـام تركي بن عبد الله السُّعودي ، ومنذ ذلك العهد وحتى مطلع القـرن الرابع عشر أصبحت عاصمة للدولة السعودية في دورها الثاني ، وكان هذا الدور مشـحوناً بالقلاقل والحروب ، واسـتعادت الريـاض مجدها في عهد الملـك عبد العزيز ، ثم تحدث الجاسـر عن تغير طـراز العمران في الرياض ، واتباعهـا وإزالة سـورها ووسـائل الحضـارة الحديثـة فيها ، وعن وسـائل العلم والثقافـة والمكتبـات والطباعـة والصحافة ، وذيّل الكتاب بملحق الآثار الحِمْيَرية في بلاد نجد ص١٣٧ ـ ١٦٩ ، وبصور تمثل تطور العمران في الرياض ١٧٧ ـ ٢١٢ .

* * *

مع الشعراء
مختارات ومطالعات[1][2]

هذا الكتاب دراسة عن شعراء قدماء من الجزيرة العربية، ونقد دواوين شعراء قدماء منشورة، ويحوي قسمين:

الأول: تراجم للشعراء وإيراد نماذج من شعرهم ص ١٦ ـ ٢٣٤، ويسمى هذا القسم (مختارات) وضم ترجمة لتسعة شعراء ومحاولة لجمع شعرهم، وكان الجاسر الرائد على مستوى العالم العربي في جمع شعر ستة من الشعراء القدماء وهم: ابن همام السلولي، والصمة القشيري، وجحدر العكلي، ويزيد ابن الطثرية، والقحيف العقيلي، والفقعسي. أما الشعراء الذين ترجمهم فهم:

١ ـ عبد الله بن همام السلولي ت سنة ١٠٠هـ. نشر الجاسر مجموعة من شعره وقدم لهذه المجموعة بدراسة عن قبيلة بني سلول وبلادها ومواضعها وشعرها، ثم تحدث عن حياة الشاعر وصلته ببني أمية، وبعمّال عبد الله بن الزبير وعلاقته بثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي وآراء القدماء في شعره، وأورد مجموعة من شعر ابن همام وسماها مقتطفات فبلغت عنده (٣٢) مقطوعة تضم (٨٨) بيتاً ووضع عناوين للمقطوعات والقصائد، وضبط الشعر، ولم يستوعب في التخريج بل اكتفى في كثير من الأحيان بمصدر واحد.

---

(١) استفدت ببعض التعريف به مما كتبه الدكتور أحمد الضبيب في مجلة العرب، س٣٤: ٣٠٤ ـ ٣١٢.

(٢) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م (٣٩٣) صفحة، ١٧×٢٤سم.

٢ ـ الصِّمَّة القُشيري ت سنة ٩٤هـ. تصدى الجاسر لجمع شعره فجمع له (٢٣٧) بيتاً، توزعتها قصائد ومقطوعات ونتق بلغت (٣٤) قصيدة ومقطوعة. قدم لعمله هذا بالحديث عن قبيلة الشاعر، فبين فضائلها، وتحدث عنها من الناحية الاجتماعية والثقافية، وأورد قائمة لشعراء بني قشير، وخصّ الشاعر بحديث عن نسبه وصفاته وعشقه، واستقصى المواضع الواردة في شعر الصمة فبلغت (٣٤) موضعاً حددها، وتحدث عنها بشيء من التفصيل، وأشار إلى ما لم يهتد إليه منها.

٣ ـ جحدر العُكْلي المُحْرِزي. عرّف بهذا الشاعر، وذكر الاختلاف في اسمه، وتحدث عن نسبه وقبيلته والخلط في ذلك وفي المكان الذي ينتمي إليه، وتتبع أسماء الأماكن التي ذكرها جحدر في شعره فعدّ منها (٢١) موضعاً، عرّف بها ليدلل على أنه عاش في نجد، ثم تحدث عن عصره وحياته مؤكداً أن كثيراً من الشعر المنسوب إليه قد نسب إلى غيره من الشعراء، وجمع مقطوعات وأبياتاً للشاعر عدّها نتفاً، واتبع في نشرته هذه منهجاً سلكه في غيرها من المجموع، يتلخص في ضبط ما يحتاج من الكلمات إلى ضبط وهو قليل، وعدم استقصاء مصادر التخريج وشرح بعض الألفاظ وأسماء الأماكن.

٤ ـ يزيد ابن الطثرية ت عام ١٢٦هـ. قدم الجاسر لهذا المجموع من الشعر مقدمة قصيرة، ولم يتطرق إلى ذكر الأماكن الواردة في الشعر ـ على غير عادته ـ ولعله اكتفى بما ذكره منها عند تقديمه لمجموع شعر الصمة، وقد جمع (٢٧٥) بيتاً من شعره في (٥٨) قصيدة ومقطعة وبيتاً مفرداً.

٥ـ القُحَيْف العُقَيْلي ت نحو ١٣٠هـ. نشر الجاسر لهذا الشاعر(٢٥) مقطوعة اشتملت على(١١٣) بيتاً وثمانية أشطار من الرجز ولم يخرج الشعر.

٦ـ عروة بن أُذينة ت نحو عام ١٣٠هـ. أورد لمحة موجزة عن الشاعر وعن عصره وموطنه، وذكر بعض المواضع القريبة من المدينة المنورة وعددها (١١) موضعاً، وأورد نتفاً من أخباره.

٧ـ محمد بن صالح الحسني ت عام ٢٤٠هـ. تحدث عن الشاعر وبيئته وذكر طرفاً من حياته، وأورد سبع قصائد من شعره.

٨ ـ محمد بن عبد الملك الفَقْعَسي الأسدي ت نحو عام ٢١٠هـ. حاول الجاسر أن يكشف عن شخصية هذا الشاعر بالحديث عن قبيلته وموطنه وبيئته العلمية. وأورد نماذج من شعره.

٩ـ ابن المقرب الأحسائي ت عام ٦٢٩هـ. تحدث عن حياة الشاعر مما ورد ذكره في كتب التراجم مراعياً الترتيب من حيث الزمن للمؤرخين، فبدأ بياقوت الحموي وختم بابن شدقم ت عام ٩٩٩هـ.

القسم الثاني: مطالعات وتحوي: ملحوظات وتعليقات وتصحيحات لدواوين قرأها الجاسر ص ٢٣٥ ـ ٣٩٢، وهذه الدواوين هي:

١ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي قراءة محمود محمد شاكر ص ٢٣٧ ـ ٢٧٠.

٢ ـ شعر الدعوة الإسلامية في عهد الرسالة، إشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ص٢٧١ ـ ٢٧٦.

٣ ـ ديوان حاتم الطائي، تحقيق الدكتور عادل سليمان جلال ص ٢٧٧ـ ٣٢٦.

٤ ـ ديوان زهير بن أبي سُلْمىَ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ص٣٢٧ ـ ٣٤٨.

٥ ـ ديوان الحادرة الغطفاني، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد.

٦ ـ ديوان زيد الخليل الطائي، تحقيق الدكتور نوري القيسي ص٣٥٣ ـ ٣٦٠.

٧ ـ ديوان المتوكل الليثي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ص٣٦٢ ـ ٣٦٨.

٨ ـ ديوان أبي دهبل الجمحي، تحقيق الدكتور عبد العظيم عبد المحسن ص٣٦٩ـ ٣٧٢.

٩ ـ ديـوان عبد الله بن الزبير الأسدي، تحقيق الدكتـور يحيى الجبوري ص٣٧٣ـ ٣٨٠.

١٠ ـ ديـوان جميل بن مَعْمَـر العُذري، تحقيـق الدكتور حسـين نصـار ص٣٨١ـ٣٨٦.

ديوان الطرماح، تحقيق الدكتور عزة حسن ص٣٨٧ ـ ٣٩٢.

ونجد محققي هذه الدواويـن والكتب يقـرّون بتصحيحاته ويشـكرونه عليها، فقال العلاّمة محمود محمد شاكر في مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء ص٧٠: وقد أصاب الأستاذ حمد في جُلِّ ما قاله أوكله. ولما جاءت المخطوطة كان أكثر ما قاله مطابقاً لما هو في المخطوطة.

وقال الدكتور ناصر الدين الأسد في مقدمة تحقيق ديوان الحادرة ص٥: ... في هذه الطبعة تصويبات لبعض ما وقع من أخطاء في نشرة المعهد، أهمها ما استفدته من الكلمة التي كتبها عن هذا الديوان العلامة الجليل حمد الجاسر ونشرها في مجلة العرب.. وقد أشرت إلى آرائه عند موضعها في الحواشي، ثم أثبت كلمته في آخر الديوان اعترافاً بفضله وتوضيحاً لرأيه.

* * *

معجم أسماء خيل العرب وفرسانها: الخيل القديمة[1]

الخيل من الحيوانات التي أحبها العربي القديم، ورعاها أجلّ رعاية، وبالغ في الاعتناء بها، فليس عجيباً أن نرى أهل اللغة يصنّفون الكتب في أنساب الخيل.

ونتبين العناية بالخيل في استحسان العربي القديم لخلْق الخليل في حسنه وتناسقه وصفاته، ولا غرابة أنك تجد العرب قد وصفوا الخيل بالكرم فقالوا كرائم الخيل، ثم إنهم سموا الحصان جواداً فصارت الكلمة اسماً لغلبة الصفة على المسمّى كما قالوا (الصارم) للسيف وهذا كثير في العربية.

وكانت الخيل عند العرب من أقوى عُدّدِهم في الحروب، يصونون بها أموالهم، ويدركون بها من أعدائهم ذُحُولهم وثاراتهم، ويغنمون منهم قِوام معيشتهم، ولمنزلة الخيل عندهم أقسم الله بها في القرآن الكريم ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١ ـ ٥]. وعدّها من وسائل إرهاب العدو ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وورد ذكرها في الحديث النبوي الشريف: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة». وكان العربي يرى الفرس أثمن شيء يعتز باقتنائه، ويحرص على العناية به من مختلف النواحي، فهو يرى فيه مصدر عزته، ووسيلة قوته، ولهذا كان الاهتمام بجميع أموره عنده مقدماً على الاهتمام بكل ماعداها، بحيث يعدّها شريكة له في أحواله كلها.

---

(١) الرياض ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، (٤٧٥) صفحة ١٧×٢٤ سم.

ولأثر الخيل في حياة العرب تردّد ذكرها كثيراً في أخبارهم وأشعارهم وفي أمثالهم.

فلا عجب إذاً أن يعمد الجاسر إلى تأليف هذا المعجم وهو في قسمين.

الأول: الخيل القديمة، والثاني: أصول الخيل العربية الحديثة تحدثت عنه ص٥٨.

أما معجم أسماء خيل العرب وفرسانها: الخيل القديمة فهو معجم نفيس، وعمل جليل ككل ما أصدره الجاسر من تأليف وتحقيق وتعليق، والذي حفزه لتأليف هذا المعجم اهتمام السيدة (تنكرزلي) الأميركية بالخيل العربية ـ من خلال مشاهدة الجاسر لاصطبلها الخاص بالخيول العربية إبّان زيارته للولايات المتحدة الأميركية عام ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م التي أتخمتها الحضارة الحديثة بجميع صنوفها وملذاتها، ورأت تنكرزلي في الخيل العربية وسيلة لهوٍ وملء فراغ وقت.

وفي هذا الكتاب استخلاص لما ورد في المؤلفات القديمة من أسماء الخيل وأسماء فرسانها، وذكر القبائل التي كانت تقتنيها، وذكر ما اشتهر من الخيل وهي نحو(٩٠٠)، ورتبها على حروف المعجم ص٣٠ ـ ٣٢٦. وضبط الجاسر أسماءها، وقد حاول إيضاح معاني الأسماء بالرجوع إلى بعض كتب اللغة، ثم عدل عن هذا، فباستطاعة كل باحث الرجوع إلى أمهات كتب اللغة ليجد بغيته.

واعترضه عند ذكر أسمائها وقوع التصحيف في بعضها، فمؤلفات القدماء يعوز كثير منها الضبط، فأوردها كما وجدها مع محاولة إيضاح الصواب في ذلك.

وأورد إضمامة في تحديد مواضع الأيام والوقائع الوارد ذكرها في أخبار الخيل دون تفصيل أو دراسة عميقة، وصنع فهارس مفصلة شاملة.

وسبق ذلك كله مقدمة في أصول الخيل العربية القديمة، ومكانة الخيل في حياة العرب قديماً، مع ذكر طرائف تتعلق بها، وعرض لعناية المؤلفين

بوضع مؤلفات في الخيل منذ بدء تدوين العلوم إلى عصرنا الحاضر، وأورد أهم تلك المؤلفات مع التعريف بها.

والجاسر بكتابه هذا قدم للتراث العربي طرفاً منه هو - في رأي الجاسر - من أجدى وأنفع مايُعنى به، لصلته الوثيقة بحياة الأمة العربية تاريخاً وأدباً ولغة.

* * *

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية[1]

معجم مختصر من ثلاثة أجزاء

يحوي هذا المعجم (١٦١٠٦) مادة، هي أسماء المدن والقرى والهِجَر (جمع هَجرة وهي قرية يستوطنها أبناء البادية خاصة، وقد يغادرونها حيناً من الزمن ثم يعودون إليها) والموارد (المنهل أو الماء) في السعودية إلى سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م مع مقدمة وافية عن الأقسام الإدارية في السعودية (الإمارات).

وقد رتبت ترتيباً هجائياً مع حذف (آل) و(با) و(بنو) فـبالأحمر يبحث عنه في حرف الألف (الأحمر)، استثني من ذلك الأسماء المبدوءة بـ(أم) فقد تأتي هذه الكلمة مقصوداً بها الأمومة، وقد تكون أداة تعريف مثل (أل) خاصة في جنوبي السعودية، ولعدم التمييز بين الكلمتين في كثير من أسماء القرى أورد المؤلف كل اسم مبدوء بـ(أم) في حرف الألف.

وضبط الجاسر ما أُمكن ضبطه من تلك الأسماء، واستقى مادته من (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) معجم تاريخي مطول (انظر الحديث عنه ص١٥ - ١٦)، ومن البيانات الرسمية ومن الصحف والمجلات، ومن الرحلات التي قام بها الجاسر في غربي السعودية وشرقيها وشماليها.

ومع هذا فقد فات هذا المعجم الكثير من أسماء المواضع، خاصة في جنوبي السعودية في إمارة عسير وإمارة نجران، يرجو الجاسر تداركها عند إعادة الطبع.

---

(١) دار اليمامة والترجمة والنشر - الرياض ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م (١٥٦٠) صفحة ١٧×٢٤سم.

هذا ولم يتوسع الجاسر بذكر ما يتعلق بتلك المواضع، بل اكتفى بمعرفة النطق الصحيح للاسم وموقع المكان الذي يسمى به، فاكثر القراء لا يعنيهم التوسع في ذلك، أما من يرغب التوسع في المعرفة فعليه أن يرجع إلى (المعجم الجغرافي المطول).

أما ما لم يضبط من الأسماء في هذا المعجم، أو ورد بصورة غير صحيحة أو لم يذكر - فيأمل الجاسر - في أن تتضافر جهود القراء على تقويم المعوّج وعلى إكمال النقص.

ومهما يكن من أمر فإن الجاسر سلك طريقاً غير ممهّد، ولو كان من دأب الجاسر أن يتثبت في كل ما قيل في مواد هذا المعجم لضاق زمانه عن تأليف الكتب ونشر المقالات التي هي صُوى نهتدي بها، وسُرُج نستنير بنورها، فلا لوم عليه ولا تثريب.

* * *

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
شمال المملكة
إمارات: حايل والجَوْف وتبوك وعَرْعَرْ والقُريَّات[1]

هذا المعجم هو أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (انظر ص١٥ ـ ١٦) ويشتمل هذا الجزء من المعجم على وصف جميع المدن والقرى وأشهر الأودية في شمالي السعودية.

ويحوي تحديد بعض لمواضع التي دُرست فجهلت، مما له ذكر في الأخبار والأشعار، ومما ورد في المؤلفات القديمة، ولئن كانت الغاية من تأليف المعجم تحديد مواضع المدن والقرى والأمكنة المأهولة في زمننا الحاضر، فإن هذا لايكمل دون الوقوف على ما لهذه البلاد من ماض ذي تأثير قوي مباشر بحاضرها لا في ثقافتها التي تستمد من تراثها القديم، فالتراث العربي ـ عموماً ـ يتوقف فهم كثير من نصوصه على معرفة مؤثرات البيئة، وهذا لا يتم بدون تحديد أمكنة تلك النصوص ومعرفتها.

ولهذا عني الجاسر بإيراد مجمل ما اطلع عليه من النصوص المتعلقة بالمواضع وحاول تحديدها، ولم يجزم بأنه وُفِّق في ذلك كله، فهذا العمل لا يزال في دور الإعداد والتمهيد، وهو بحاجة إلى دراسة متواصلة ومتصلة

---

(١) ثلاثة أجزاء في (١٤٧٩) صفحة ١٧×٢٤ : الجزء الأول (أ ـ ح) (٤٨٠) صفحة. الجزء الثاني (خ ـ ظ)، ص٤٨٩ ـ ٤٦٠ . الجزء الثالث (ع ـ ي) ص٨٦٩ ـ ١٤٢٠ ، الفهارس ص١٤٢١ ـ ١٤٧٩ .

بما قبلها في خلال ثمانية قرون، حيث وقفت الدراسة من عهد ياقوت الحموي صاحب (معجم البلدان) إلى عهدنا الحاضر.

ويقول الجاسر: ليس من المبالغة القول بأن الأمر بالنسبة لما قام به ياقوت رحمه الله ومن قبله من العلماء في هذا الميدان لم يَتَعَدَّ جمع النصوص المختلفة، ولكنه جمع عظيم الفائدة.

وفي الكتاب تعريف بنحو (٢٣٠٠) اسم موضع غير مكرر، وقد ذكر الجاسر أشهر القبائل التي تقطن البلاد التي كتب عنها ومنازلها، والغاية من ذكر منازل بعض القبائل الربط بين تاريخ البلاد الماضي بالحاضر.

أما مصادر هذا الجزء بالإضافة إلى مؤلفات القدماء: رحلات قام بها الجاسر، زار خلالها أشهر المدن والقرى، وجال في أكثر جوانب البلاد التي كتب عنها، واستعان بكثير من أهلها في تحديد المواضع التي لم يزرها.

واعتمد بيانات صدرت عن جهات حكومية، وكتاب القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد لسليمان الدخيل، وكتاب شمال نجد للمستشرق التشيكوسلوفاكي الويس موزل.

* * *

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
معجم تاريخي جغرافي مطول
المنطقة الشرقية[1]

يحوي هذا المعجم ـ وهو أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ أسماء المواضع من مدن وقرى وجبال وأودية في المنطقة الشرقية (البحرين قديماً).

وتضم الدهناء وعُمَان وقطر والكويت ومشارف البصرة. أما الآن فتنحصر التسمية في جزيرتين من جزرها هما (المنامة والمُحرَّق) وكان اسمهما (أَوال).

استقى مادته من الكتب الجغرافية واللغوية ودواوين الشعر، ومن خلال رحلاته ومشاهداته إلى تلك المنطقة، للتثبت في صحة ما جمعه من معلومات عنها، وحرص في خلال رحلته أن يشاهد مايستطيع مشاهدته من المواضع القديمة التي لاتزال معروفة بأسمائها مشاهدة تحدث منها عند ذكر هذه المواضع، ولم يقف عند حد وصف الأمكنة على ماهي عليه، بل تعدى ذلك إلى محاولة تحقيق المواضع القديمة الواردة في الأخبار أو الأشعار القديمة، وربط الماضي بالحاضر، وهذا ليس من الأمور اليسيرة، أو التي يمكن لكاتب أو باحث أن يوفّيها حقها من البحث والتحقيق، كما بذل جهداً لمعرفة ما تغيّر اسمه من المواضع وغيرها من الأسماء التي وردت في المؤلفات القديمة.

---

(١) دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. (٤) أجزاء في (١٩٩٨) صفحة ١٧×٢٤سم.

حاول الجاسر أن يقدم للقارئ خلاصة ما في تلك الكتب التي طالعها ليوفر من جهده، ووضع أمامه طائفة كبيرة من أسماء المواضع لم يهتد إلى معرفة مواقعها في المنطقة الشرقية، مع محاولة التوفيق بين متضارب النصوص، وتطبيق كثير منها على مواضع لاتزال معروفة، وأورد نصوصاً لم يحدد المواضع المذكورة فيها تحديداً تاماً، بل اكتفى بذكر الجهة التي ترجح عنده وقوعه فيها، بمعنى أنه حصره في جهة معروفة وأراح الباحث من أمثال: (بين البصرة ومكة)، إذ كيف يستطيع الباحث ـ مثلاً ـ أن يحدد موقع جبل بين البصرة ومكة المكرمة.

وعوّل في أسماء القرى والبلدان والحياة في العصر الحاضر على مصادر رسمية، واستطرد في الكتاب، فذكر عند بعض المواضع بعض ما يماثلها في الاسم مما هو خارج هذه المنطقة.

ولم يُعنَ بوصف المدن والقرى، إذ الحركة العمرانية على درجة من القوة لا يتمكن الكاتب من مجاراتها، فما يصفه اليوم يجده متغيراً بعد زمن قصير.

وعرض لتحريف كثير من أسماء المواضع وأسبابها، وذلك ما يعترض الباحث في تحقيق أسماء المواضع أو تحديد المسميات، فيحول بينه وبين ما يريد.

ويعدُّ هذا الكتاب محاولة أُولى لتحديد المواضع الجغرافية المعروفة، مع الاستنارة بما ورد في المؤلفات القديمة فيما يتعلق بالموضوع.

تصدر الكتاب مقدمة طويلة تحدث فيها عن البحرين في المؤلفات القديمة، ولمحة موجزة عن البحرين (المصطلح القديم) وتاريخها من العصر الجاهلي حتى العهد السعودي.

ومع صعوبة عمل الجاسر هذا ومشاقه ونواقصه يقول:

«لن يبلغ المرء الكمال في أي عمل مهما بلغ من القوة عقلاً وعلماً وعملاً والأعمال ـ في هذه الحياة ـ تنمو وتقوى بتظافر العاملين وتعاونهم على كرّ

العصور، ولهذا فإن على المرء أن يعمل ما في استطاعته عمله، وأن يدع لغيره من العاملين أساساً لذلك العمل، وأن لا يتقاعس عن فعل ما يستطيع له في سبيل الخير والنفع العام عندما يرى عدم قدرته على بلوغ الغاية، فالعمل النافع ـ مهما بلغ ـ ذو فائدة، والعامل ـ وإن قصّر ـ خير ممن لا عمل له». المقدمة ص٣.

هذا والمعجم الجغرافي لم يكتب بعد بصيغته النهائية. تجمع هذه الأقسام التي طبعت ويتم تنقيحها وترتيبها كلها على حروف المعجم بعد أن تنقح وتصحح ويؤخذ بآراء الناقدين، وتدمج كلها في كتاب واحد مسمى بهذا الاسم، فالمواد التي طبعت من المعجم الآن ليست مرتبة ترتيباً عاماً على الحروف، إنما هي مرتبة بحسب الأقاليم والمناطق، فهي ليست في صبغتها النهائية إنما هي في دور الجمع.

* * *

معجم المطبوعات العربية
في المملكة العربية السعودية[١]
للدكتور علي جواد الطاهر

يضم هـذا المعجم ما صدر من كتب في العهد السـعودي ابتداءً بسـنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م، وتشمل كلمة (صدر): التأليف والتحقيق والنشر والترجمة ما طبع في البلاد أو خارجها، ويعرف هذا العهد بالدولة السعودية الثالثة وهي التي أسسها الملك عبد العزيز.

ويحوي ما صدر في هذا العهد لمؤلفين عاشوا في نجد والأحساء قبل قيام الدولة السعودية الثالثة، ونذكر على سبيل المثال مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ويضم أيضاً ما استطاع المؤلف تسجيله من مؤلفات حجازية طبعت قبل الحكم السعودي للحجاز عام ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥م، ويستثنى من ذلك ما صدر من صحف ومجلات.

طبع الكتاب بعد وفاة مؤلفه، وكان قد كتب مقدمة له، وخوّل الجاسر حذف ما يراه خطأً، وزيادة ما يراه ناقصاً، فالمعجم معجمه، بقدر ما هو معجم مؤلفه، غير أن الجاسر رأى من الأمانة العلمية حفظاً لأصل المؤلف ـ وقد طبع بعد وفاته ـ أن يضع ما أضافه في حواشي الكتاب.

* * *

---

(١) أشرف على الطبع حمد الجاسر. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض ١٤١٧هـ (٤) مجلدات (١٩٩٤) ص، ١٧×٢٤سم.

معجم قبائل المملكة العربية السعودية[1]

لما كان القارئ لا يجد بين يديه كتاباً شاملاً مرتباً على الحروف مخصصاً للقبائل في السعودية، على كثرة المؤلفات في الموضوع، عمد الجاسر إلى تصنيف كتاب في ذلك، وأورد المعلومات المتعلقة بالقبائل بإيجاز، فلم يتطرق للبحث في الأصول، ولم يتوسع في ضبط الأسماء، واكتفى بإيراد الاسم مضبوطاً بالشكل، ولم يتعرض لذكر القبائل القديمة التي ليس لها بقية في السعودية، ولا لذكر القبائل التي تحضّرت كل فروعها ولم يبق لها بادية، ولا لذكر القبائل التي نزحت عنها، سوى فروع بعض قبائل بقي أصلها، ونزحت تلك الفروع إلى العراق والشام وغيرها، فلما أنعم الله على السعودية بالأمن والرخاء بدأ كثير من تلك الفروع في الرجوع إلى مواطنه القديمة بعد غياب طويل، وقد يعود غيرها، لهذا حاول الجاسر ذكر بعض فروع تلك القبائل ممن هاجر ولا تزال مغريات العودة إلى السعودية تزداد بازدياد ازدهار العمران وتوفر أسباب الحياة الرغيدة.

ويعدُّ هذا الكتاب صِنْواً لكتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية الذي دعا الجاسر إلى تأليفه.

وعمله ينحصر في جمع المعلومات وترتيبها مستقاة من مؤلفات معروفة ذكرها في آخر الكتاب، وتحاشى ذكر ما يثير التساؤل في بعض النفوس بوسائل منها:

---

(١) النادي الأدبي في الرياض ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (٩٥٩) صفحة ١٧×٢٤ سم. جزآن الأول (٤٧٩) صفحة أ ـ ظ، والثاني (٤٨٠) صفحة ع ـ ي.

أنه دعا القبيلة بالاسم الذي تريد أن تسمى به، مثل بني رشيد فقد استعمله بدل (هُتَيم)، ومنها أن بعض نسّابي القبائل يختلفون بإضافة هذا الفرع إلى تلك القبيلة، فلم يُعِر هذا الاختلاف اهتماماً، مادام ذلك الفرع ينتسب إلى تلك القبيلة، بل سار على قاعدة (الناس مأمونون على أنسابهم). وقد يستعمل كلمة (في) بدل (من) إذا كان لذلك الاختلاف أساس صحيح كأن يقول: (آل فلان في القبيلة الفلانية) أي هم مخالطون لها ومعدودون فيها.

ومنها: أنَّ حصر جميع فروع القبائل من الصعوبة بمكان، ولهذا فحين يورد الجاسر أسماء الفروع أو الأفخاذ يعبّر عن ذلك بكلمة (منها).

وأشار الجاسر إلى أمور قد يحتاج الباحث إلى معرفتها في هذا الكتاب منها: أن كثيراً من عشائر تهامة وما يقرب منها من سفوح السروات قد تنتمي إلى الأماكن التي تعيش فيها أو حولها، وتهمل انتماءها إلى الجِذْم الذي يربطها بأصل معروف، فتشتهر بانتسابها إلى الموضع أكثر من اشتهارها بانتسابها إلى الأصل الذي يربطها بأحد الأصول المعروفة، وهذا معروف منذ القدم، من أجل ذلك فليس أمام من يُعنى بتدوين أحوال العشائر ـ ممن يجهل الجذم الذي تنتمي إليه ـ سوى ذكر الموضع الذي تحلُّه، وهذا ما فعله الجاسر، فذكر عشائر تهامة بأسماء بلادها مثل (بَيْش) و(جازان).

ومنها: أن القبائل التي تقع بلادها في جنوبي السعودية في جهات نجران، وفي بلاد عسير لا تزال مجهولة، إذ لم تُدرس أحوالها، ولم يؤلَّف أو يكتب عن أنسابها سوى نُتَفٍ موجزة، يعتريها الخطأ وعدم التحقيق، فليس أمام من يعنى بالكتابة عنها سوى الاختلاط بها في بلادها.

ومنها: أن تداخل القبائل سبّب خلافاً واسعاً في نسبة بعض الفروع، وقد سار الجاسر في هذا الكتاب على ما هو معروف الآن في عهدنا وإن خالف الصحيح.

ومنها: أن لاختلاف لهجات القبائل أثراً كبيراً في طريقة النطق بالأسماء

كعدم التفريق بين الضاد والظاء، والتعاقب بين الجيم والياء، وتقارب النطق بحروف الجيم والقاف والكاف، أو السين والصاد وهذا يوقع الخطأ في كتابة الأسماء(١)، وقد حاول الجاسر كتابتها بأقرب الوجوه إلى الصواب، مع ذكر الصورة التي تنطق بها(٢)، وإن خالفت القاعدة المعروفة.

وعمد الجاسر إلى تجريد الأسماء من جميع الزوائد عند ذكرها مع الإشارة إلى صفة نطقها مثل (بَنْيُوس) و(بَلْيَعْرب) و(بَلْجُرَشي) فقد أوردها في (أوس) و(يعرب) و(الجرشي) بحذف الحروف الزائدة على الأسماء مثل (آل) و(إيل) و(أل) و(ضنا) و(وِلْد) و(بني) و(ذوي) و(عيال) و(أولاد) وأمثالها.

وقد ينقل الاسم شاكاً في صحته فيضع بعده علامة الاستفهام (؟) إشارة إلى الشك.

ويلاحظ فيما كتبه الجاسر أمور هي:

١ ـ التكرار عند تفريغ الفروع أو الأفخاذ، وقد عمل الجاسر هذا تحاشياً لوقوع خلط بين تلك الفروع أو الأفخاذ لوقوع التشابه في الأسماء.

٢ ـ قد يسرد الجاسر أسماء فروع القبيلة وأفخاذها عند ذكر اسمها، غير أنه لا يلتزم هذا دائماً، وهذا ناشئ عن أحد الأمور: ـ إما للاختلاف القوي حول فروع تلك القبيلة. ـ أو كثرة تلك الفروع وشهرتها، أو عدم وجود مصدر يطمئن إليه في تفريعها.

٣ ـ قد يذكر بعض الأفخاذ عند فرعه، ثم يعيد ذكر الاسم في موضعه في

---

(١) مثل الضفير، الجثمة، المنتفك، البسسة، وهي: الظفير، القثمة، المنتفق، البصمة، وأمثالها كثير، وقد يضطر الجاسر لكتابة الاسم بصورتين تبعاً لما سمعه من الناطقين به.

(٢) لحرص الجاسر على إيراد الاسم كما ينطق اضطر إلى مخالفة قواعد الإعراب في كلمات يسيرة مثل استعمال كلمتي (ذوي) و(بني) دائماً بالياء.

الكتاب، وكان ينبغي السير على هذه الطريقة عند ذكر أفخاذ القبائل، وهذا ما يرجو الجاسر ملاحظته حين يعاد طبع الكتاب.

وبعد، فيظل موضوع القبائل من السعة بحيث لا يسع المرء تقديم مؤلف وافٍ فيه، وتظل جوانب النقص كثيرة ذكرها الجاسر في خاتمة الكتاب منها: النقل عن مصادر ألفها في أول الأمر مؤلفون أعاجم، فكتبوا الأسماء بحروف لاتينية، أو مؤلفون حاكوا العامة في نطقهم محاكاة مخالفة للنطق الفصيح في مثل (الشبيك ـ الشبيس) و(عقيل ـ عجيل).

ومنها التصحيف في المؤلفات العربية لتشابه الحروف وكثرة الأخطاء الطباعية مثل (المرازيق) قد تكتب (الموازين).

من أجل ذلك كله طلب الجاسر من المعنيين بموضوع القبائل أن ينظروا في الكتاب نظرات نقد وتصحيح لا نظرة إغضاء وسترٍ لعيوبه.

وما أجمل قول الجاسر: ولو أردت الاعتذار، وإلقاء التَّبعة على غيري لما أعياني ذلك، إذ عملي منحصر في الجمع، والنقل مما كتبه غيري أولاً.

* * *

المَغانِمُ المُطَابةَ في معالم طابة

للفيروز آبادي[1]

طابة اسم من أسماء المدينة المنورة. وهذا الكتاب يعدُّ من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم، وفي خططها، وفي مساجدها وآثارها الإسلامية، وهو أوفى كتاب يحدد أمكنة المدينة المنورة وما حولها.

ومخطوطة الكتاب ستة أبواب هي:

١ ـ في فضل الزيارة وآدابها وما يتعلق بذلك.

٢ ـ في تاريخ البلد المقدس وذكر من سكنه.

٣ ـ في أسماء المدينة.

٤ ـ في الفضائل المأثورة، وتحدث في هذا الباب عن بناء المسجد النبوي، وذكر الدور التي حوله، وظهور نار الحجاز ومقبرة البقيع، والمشاهد التي بظاهر المدينة، والمساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ.

٥ ـ في ذكر أماكن المدينة، وهو أطول أبواب الكتاب، وهذا الباب هو الذي حققه الشيخ حمد الجاسر.

٦ ـ في تراجم ممن أدركهم في المدينة، أو ذكر له أشياخه المدنيون

---

(١) دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، (٦٤٦) صفحة، ١٧×٢٤.

وغيرهم أنهم أدركوهم بها على اختلاف طبقاتهم، وذكر جماعة ممن لهم بالمدينة آثار صالحة، وإن لم يساكنوا أهلها (٢٢٩ ـ ٢٦٦) وهو آخر الكتاب.

ويعلل الشيخ حمد اقتصاره على تحقيق الباب الخامس بأن الفيروزآبادي ـ وهو جمّاع أكثر منه مبتكراً ـ يحشو مؤلفاته بالأحاديث الموضوعة، ويحشو كتبه حتى اللغوية منها بالخرافات، وتغلب عليه نزعة صوفية متكلفة، وأورد في مقدمة كتابه أحاديث موضوعه وضعيفة في شد الرحال لقبر الرسول ﷺ والتوسل به، وهما أمران جاء الإسلام بتحريمهما بنصوص صحيحة صريحة، فترك الجاسر ذلك لأحد العلماء ليعلق على تلك الأحاديث التي وردت فيه، وبيان ما في بعض آراء مؤلفه من خطأ.

والباب الخامس هو أهم أقسام الكتاب. وهو يعنى في تحديد مواقع المواضع الجغرافية للمدينة المنورة منذ صدر الإسلام إلى القرن التاسع الهجري، وقد عوّل فيه على كتاب معجم البلدان لياقوت، فنقل منه ما وقع عليه نظره مما ورد فيه أنه في المدينة أو قربها، وقد فاتته مواضع كثيرة تدخل تحت موضوعه.

ولما كان الفيروز آبادي يعول على النقل أكثر، من غيره فقد قلّد الحموي في بعض أخطائه، ووقع في أخطاء نشأت من تصحيفه بعض الأسماء، ومع ذلك فقد يصحح في كتابه هذا بعض أخطائه في القاموس المحيط.

عمل الجاسر: حاول إبراز نص صحيح مطابق لما وضعه المؤلف، وصحح كثيراً من الأسماء التي أوردها، ولم يطل، فترك المواضع التي لاصلة لها بموضوع المؤلف دون تحديد، إلا ما رأى في تحديده أمراً من الأمور المتصلة بالكتاب نفسه، ورجع في كل مادة إلى مصدر المؤلف من (معجم البلدان)، فصحح أخطاء النسخة الخطية في الأصل، وأضاف ما لا يتم الكلام إلا به داخل مربعين [. .] ورجع إلى (وفاء الوفاء) للسمهودي الذي استدرك على المؤلف وزاد، فأورد كل ذلك في الحواشي بحرف دقيق ورجع أيضاً إلى مصادر أخرى، وخلص إلى القول أن كتاب الفيروزآبادي يغني عن كتاب السمهودي فيما يتعلق بتحديد الأماكن.

ولما كان أي كتاب مطبوع لا تتم الاستفادة منه بسهولة ويسر بدون فهارس مفصلة، فقد صنع فهارس مفصلة للكتاب.

وكتب الجاسر مقدمة للكتاب تحدث فيها عمّا أُلف في تاريخ المدينة المنورة، وأوضح أن أول من ألف في تاريخها ابن أبي ثابت الأعرج المتوفى سنة ١٩٧هـ، وأن أشهر مؤرخيها عمر بن شبة النميري المتوفى سنة ٢٦٢هـ الذي قال فيه الذهبي: صنف ابن شبه كتاباً في أخبار المدينة رأيت نصفه يقضي بإمامته.

ثم عرّج الجاسر على التعريف بالفيروز أبادي وبكتابه. وأبان عن عمله في تحقيق الكتاب، وختم مقدمته بوصف المخطوطة المعتمدة في التحقيق، وهي المحفوظة بخزانة شيخ الإسلام فيض الله أفندي في إستانبول ورقمها (١٥٢٩).

* * *

أشهر رحلات الحج

ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي(١)

كتب الرحلات بما تحويه من تنويع من موضوع إلى موضوع، تمتع الفكر، وتزيل عنه السأم، وتجدد منه النشاط لمواصلة القراءة.

جمع الجاسر قدراً صالحاً من رحلات الحج نشر من بعضها خلاصات تتعلق بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وتصف الطرق الموصلة إليهما، وهي خلاصات وأوصاف مبعثرة، وعلى امتاعها وجزالة نفعها لم يحوِها كتاب، نشرها في مجلته العرب، وفكّر في ترتيبها وجمعها في مؤلف واحد باسم (في رحاب الحرمين) ولم ينشر تحت هذا العنوان سوى ملخص رحلتي الدرعي، وبقيت خلاصات تلك الرحلات منثورة في مجلة العرب.

جاء ملخص هاتين الرحلتين في (١٣١) صفحة من صفحة ٤٢ ـ ١٧٢ .

مهّد لهذا الملخص بالحديث عن أهمية مكة المكرمة من الناحية الثقافية، فهي نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية. وهي صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية في مختلف العصور، يجتمع فيها من العلماء في كل عام ما لا يجتمع في أيّ مدينة أخرى من مدن الإسلام، وتحدث عن صلة الأندلسيين بمكة المكرمة الذين كانوا يفدون إليها لا للحج

---

(١) دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ـ الرياض ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (١٧٧) صفحة ١٧×٢٤، مقدمة الجاسر (٤٤) صفحة، والملخص من ص ٤٤ ـ ١٧٢، والفهرس ١٧٣ ـ ١٧٧ .

وحده، ولكن لينشروا علماً، وليستزيدوا منه، وعرض لبعض العلماء الذين رحلوا من الأندلس إلى مكة فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجريين ممن كانوا رُسُلَ علمٍ وحَمَلَة ثقافة ومعرفة.

ولم يعرض لعلماء العراق والشام ومصر، فصِلات هذه الأقطار بمكة تضيق عنه مجلدات الكتب.

ويعلّل تبريز علماء المغرب على غيرهم في تدوين الرحلات إلى بعد ذلك القطر - ومنه الأندلس - عن حواضر العلم ومراكز الثقافة في الحجاز والشام والعراق في العصور الأولى، ثم مصر وإستانبول في الأزمان المتأخرة.

ثم انتقل للحديث عن أشهر رحلات الحج حتى القرن الثالث عشر الهجري ومنها رحلة ابن جبير، وابن رُشَيد، والعبدري، وابن بطوطة والقلصادي، والبلوي وابن ناصر الدرعي، ثم عرض بإيجاز لرحلات أهل القرن الرابع عشر وهي كثيرة منها: رحلتا شكيب أرسلان، وإبراهيم المازني، ثم ترجم ابن عبد السلام الدرعي.

رحلتا ابن عبد السلام:

تعدُّ الرحلة الكبرى من أوفى الرحلات في ذكر مراحل الحج من مصر برّاً إلى مكة، فالمدينة فينبع حتى القاهرة بطريق الساحل مروراً بالعقبة في الأردن، فنخل فعجرود قرب السويس، وهو عندما يتحدث عن البلاد والأماكن يصفها ويورد ما يتعلق فيها من أخبار وأشعار، وعندما يجتمع بكثير من علماء البلاد التي زارها ويستفيد منهم ويسجل كثيراً من أخبارهم ومنهم مرتضى الزبيدي مؤلف (تاج العروس)، ويذكر العلماء الذين أجازوه. أما الرحلة الصغرى فمباحثها موجزة جداً.

* * *

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

لأبي إسحاق الحربي(١)(٢)

هذا الكتاب من أهم المصادر وأقدمها في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة ووصف طرق الحج، فهو أثر ترجع نصوصه كلها إلى القرن الثالث الهجري فما قبله عن علماء ورواة ذوي خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه.

وفي الكتاب تصحيح لمعلومات غلط، وإكمال لأخرى ناقصة، ويوضح لنا أصول أقوال وردت إلينا في بعض المؤلفات دون ذكر أصحابها، وفيه توضيح للنقول الكثيرة التي أوردها البكري وياقوت منسوبة إلى السكوني.

ويورد معلومات أخرى وصلت إلينا من كتب نظنها سبقت إلى ذكرها، فيوردها بطريقة أخرى تؤيد تلك النصوص، كما نرى ذلك فيما أورده متعلقاً بتاريخ الآثار المقدسة بمكة، حيث يُظن أن الأزرقي مؤرخ بمكة وحده قد انفرد بذكرها، وكما في كتابي ابن رستة وابن خرداذبة عن طرق الحج.

وفي الكتاب نصوص مطوّلة من كتب مفقودة مثل كتاب (تاريخ المدينة) ليحيى بن الحسين العلوي، وفيه نص طويل عن العالم المكي ابن جريح يدل

---

(١) دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ـ الرياض ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (٨٠٢) صفحة ١٧×٢٤. المقدمة (٢٧٧) صفحة، نص الكتاب ص ٢٧٩ ـ ٦٥٧. الفهارس ٦٥٩ ـ ٧٩٧، إضافات وتصحيح ٧٩٨ ـ ٨٠٢.

(٢) ثم ترجّح للجاسر أنه كتاب (الطريق) لوكيع تلميذ الحربي كما أوضح ذلك الدكتور عبد الله الوهيبي في مجلة العرب س٢٣، ص: ٤٣٣ ـ ٤٤١ وقد جعل الجاسر مقاله في صدر المجلة، وهذا يدل على تقبله النقد في تواضع ورحابة صدر.

على أنه ألف كتاباً عن بناء البيت، لا نجد مَن ذكره من المتقدمين.

أما النصوص الأدبية الشعرية فيوشك أن يكون هذا الكتاب هو الوحيد في جمع ما قيل من الأراجيز في وصف طريق الحج العراقي، وهي أراجيز ذات قيمة كبيرة جداً في تحديدالأمكنة فضلاً عن قيمتها اللغوية والأدبية.

صدّر الجاسر لهذا الكتاب بمقدمة طويلة (٢٧٣) صفحة، بحيث يصح أن تكون كتاباً مفرداً، تحدث فيها مفصلاً عن الحربي، أبرز فيها لمحات من حياة الحربي من خلال المؤلفات التي تعرضت لذكره.

وأبان الجاسر أن الحربي كان مجتهداً، ولم يكن متمذهباً مقلّداً، بل كان على مذهب أهل الحديث، أما عدّه من أصحاب أحمد أو الشافعي كما قال بذلك من ألف في تراجم علماء المذهبين، فهذا الأمر ليس على إطلاقه.

وعدّ شيوخه من المحدّثين، ورتبهم على نسق ترتيب المعجم، وتكلم عن آراء الحربي في الأئمة الأربعة، وفي محدثين آخرين رتّبهم ترتيب المعجم.

ثم عرّج على مشايخ الحربي من الإخباريين وغيرهم، ورتبهم على حروف المعجم، وأطال النفس في ترجمة عبد الله بن أبي سعد الوراق الذي أكثر مؤلف المناسك من النقل عنه لكثرة ما جاء في (المناسك) من النقول عنه، ولكثرة ورود اسمه في كتب الأدب والتاريخ، وقلة المصادر التي تحدثت عن تاريخ حياته.

وذكر شيوخ الوراق ورتبهم ترتيب المعجم، وتطرق لمن روى عن الوراق، ثم أتى على ذكر مؤلفات الوراق.

ثم عقد الجاسر فصلاً خصصه للحديث عن (الحربي اللغوي) ص ١٧١ ـ ١٨٠ تحدث فيه عن عناية الحربي بالعربية، وأورد بعض مشايخ الحربي من اللغويين وعددهم (١٥) شيخاً أبرزهم أبو ناصر الباهلي، وثعلب، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم، والمبرد، ثم عقد فصلاً آخر ص ١٨١ ـ ٢٠٨ تحدث فيه عن

طريقة الحربي اللغوية، فأبان أن الحربي سار في كتابة اللغة متأثراً بطريقة المحدّثين، فهو قد وضع كتابه (غريب الحديث) على أساس ترتيب أسماء الصحابة من حيث القدم في الفضل، فبدأ بحديث أبي بكر ثم عمر، وهلمَّ جراً، يورد من أحاديث الصحابي ما فيه كلمة غريبة ثم يشرحها شرحاً وافياً بنقل ما اطلع عليه من كلام أئمة اللغة على اختلافهم، ويطيل في ذلك، ثم بعد ذلك يقلب الكلمة إلى صورة أخرى لم تكن واردة في شيء من الأحاديث، بل تكون من ألفاظ القرآن الكريم، أو من مأثور السلف، أو غريب اللغة الواردة في الأشعار، ويأتي بمعناها حسبما أورده اللغويون، ويستمر في التقليب في عدة صور، وبعد ذلك ينتقل إلى كلمة غريبة أخرى وردت في الحديث عن ذلك الصحابي وعن غيره إن يكن أنهى الكلام على غريب حديثه، وهكذا يسير في كتابه، ولم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى الجزء الخامس.

وأورد الجاسر المفردات اللغوية التي تكلم عليها في كتابه، واتبع بنماذج من كتابه لتتضح طريقته، ووضع لكل كلمة أصيلة رقماً، وأتبعها بمقلوبها من الكلمات فبلغت الأصول (١٣٥) أصلاً، ومجموع الكلمات (٣٧٠) كلمة خصص لكل كلمة (باباً)، مثل: سُجُر: جرس، جسر، رجس.

مثل عرض لزهد الحربي ٢٠٩ ـ ٢١٥، وانتقل بعد ذلك للحديث عن جوانب أخرى من حياة الحربي ٢١٦ ـ ٢٢٠، ويعني بها الجاسر بعض ملامح من حياته الخاصة.

ثم أتبع ذلك بالحديث عن مؤلفاته، فذكرها وهي (١٧) مؤلفاً رتبها ترتيب المعجم، وأشار إلى أن جُلّها قد ضاع، وأطال الحديث عن كتاب غريب الحديث.

وعرّج على تلاميذ الحربي ص ٢٤٠ ـ ٢٥٣، وأحصى منهم (٣٩) تلميذاً رتّبهم على حروف المعجم، من أبرزهم المحدّثان الدارقطني وأبو داود، والقاضي وكيع، وأبو بكر الأنباري.

ثم خصص فصلاً للحديث عن مؤلف الكتاب، فأشار إلى أن ما بين أيدينا من نصوص ليس فيها ما يحمل على الجزم باسم مؤلفه، سوى استنتاجات أوضحها الجاسر، وخلص فيها إلى أن مؤلف الكتاب هو الحربي، وختم المقدمة بالحديث عن طريقة التحقيق.

منهاج الجاسر في تحقيق هذا الكتاب:

١ ـ تقويم الأصل ما أمكن بالرجوع إلى المصادر التي لها صلة بكل بحث من بحوثه، مع الإشارة إلى تلك المصادر.

٢ ـ إضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الأمكنة والمواضع وبعض الأعلام.

٣ ـ إيراد جميع النصوص التي نسبها السمهودي إلى الأسدي مما قد لا يوجد في المخطوطة، والإشارة إلى الموجود منها، مع ذكر الخلاف في العبارات إن وجد.

٤ ـ الإشارة إلى ما نقله البكري منسوباً إلى السكوني، أو غير منسوب مما وجد له الجاسر أصلاً، وكذا ما ذكر ياقوت الحموي.

٥ ـ تقويم عبارة الكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الإشارة إلى ذلك في الهامش، إلا في الكلمات التي تحتمل أكثر من وجه كأسماء الأعلام، فقد أبقاها مشيراً إلى ما يراه صواباً في الهامش.

٦ ـ الإعجام في الكتاب قليل، وبعض العبارات تفهم بدونه، إلا أن أسماء الأعلام لتشابهها لا يفهم المقصود منها دون الإعجام، وقد وردت أسماء لبعض الواضع والأعلام مهملة من الإعجام، لم يتضح للجاسر صوابها، فأبقاها كما وردت، واكتفى بوضع علامة استفهام بعد ذكرها.

٧ ـ لم يملأ هوامش الكتاب ببيان ما وقع في مخطوطته من تحريف لأن هذا لا يفيد القارئ.

٨ ـ وضع عناوين لمباحث الكتاب تسهيلاً للقارئ بين مربعين: [. .] .

بقي أن نشير إلى أن نشرة الكتاب كانت عن مخطوطة وحيدة محفوظة في المكتبة الرضوية المنسوبة للإمام علي رضي الله عنه في مدينة طوس بإيران، وهي مشحونة بالتصحيف والتحريف، أوضح الجاسر ما قاساه في سبيل تحقيقها من جهد وعناء ليُعْذَر فيما قد يقع في عمله من نقص.

* * *

نبذة تاريخية عن نجد

إملاء ضاري بن فهيد الرشيدي[1]

تحوي هذه النبذة معلومات تاريخية عن حوادث البلاد السعودية في القرن الثالث عشر الهجري، هي صدىً لما كان يتناقل في المجالس، وتحدث ضاري عن وقائع أدركها منها وقعة البكيرية، وذكر طرفاً من أخبار آل رشيد، وأورد بعض أشعارهم، كل ذلك بلغة عامية، ولكنها قريبة من الفصحى، وميزة هذا الكتاب أنه كتب بأسلوب ليس بالفصيح ولا بالعامي البحت، فهو من هذه الناحية قد يفيد المعنيين بدراسة تتطور اللهجة العامية في نجد، أما الاعتماد عليه من الناحية التاريخية فإن ممليه كان متعصباً لأسرته تأثراً حمله على إخفاء بعض مساوئهم.

عمل الجاسر: حقق هذه النبذة وجمع إليها في كتاب واحد (القول السديد) لسليمان بن صالح الدخيل، وكتب لها مقدمة عرّف بها وبصاحبها وبكاتبها ووصف المخطوطة، ولم يتصرف في الأصل، وأبقى كل شيء على ما هو عليه وما فيه من حواشي أثبتها، وأضاف بعض حواشٍ ميز بينها وبين الحواشي التي في الأصل بأن أضاف إلى حواشي الأصل حرف (ص)، ووضع عناوين للمباحث تسهيلاً للقارئ وتقريباً له، ونبّه على أخطاء المؤلف في الحواشي.

* * *

---

(١) ١٣٢ صفحة ١٤×٢٠، المقدمة (٢٥) صفحة، مقدمة البستاني ص٢٧، النبذة ٢٨ـ١٢٧، الفهرس ١٢٨ـ١٣٢ ـ بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

نظرات في كتاب
تاج العروس من جواهر القاموس
للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي[١]

كتاب تاج العروس هو أضخم معجم عربي، وكنز من كنوز العربية، شرح به مؤلفه (القاموس المحيط) للفيروزآبادي، وزوده بالشواهد الكثيرة، وذكر بعض المستدركات عليه، ولعل كثافة القاموس المحيط ولغته الرمزية الاصطلاحية من الأسباب التي حملت المرتضى الزبيدي على شرحه.

وتاج العروس ليس كتاباً لغوياً فحسب، بل هو دائرة معارف عربية عامة، ففيه ذكر للأماكن والرجال والأنساب، والطب.

وقد طبع في عشرة مجلدات كبار من نحو مئة عام بمصر طباعة غير محققه، وهو مع انتشاره وشدة الحاجة إليه، ما زال من حيث شكله بعيداً عن مقتضيات العصر، وما تتطلبه وسائل البحث الحديثة من سهولة ووضوح وقرب مأخذ، وهذا الذي حدا وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام الآن) في الكويت إلى إعادة تحقيقه وطبعه، فأناطت المهمة بنخبة من المحققين في الوطن العربي[٢]، فصدر الجزء الأول في عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، واستمر النشر حتى كمل نصف الكتاب في عشرين مجلداً في عام ١٤٠٢هـ، وما زالت الأجزاء تصدر لكن ببطء.

---

(١) الرياض ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ (٤٦٢) صفحة ـ ١٧×٢٤سم.

(٢) أبرزهم: عبد السلام هارون، ومصطفى حجازي، وعبد العليم الطحاوي، ومحمود الطناحي، وعبد الكريم العزباوي.

وعلى الأجزاء العشرين من الطبعة الكويتية، وقعت هذه النظرات التي نشرها الجاسر في مجلته (العرب) في فترات متباعدة بتباعد صدور تلك الجزء، ثم أعاد النظر بعد نقلها وإعدادها لنشرها مفردة.

يبدأ الجزء الأول من (أب أ) إلى (ى رن أ).

ويبدأ الجزء العشرون من فصل القاف مع الطاء (قبط) وينتهي بانتهاء فصل الدال مع العين ـ دهقع.

وما أبداه الجاسر من ملاحظات تتصل بمؤلف الكتاب، أو بمن نقل عنه، وبعمل المحققين، وكانت الغاية منها عرضها على محك النقد، فما كان صواباً أُخذ به، وما كان خطأً اطُّرح ورُفض،

وأكثر ما استدركه الجاسر من ملاحظات يتصل بالمواضع الجغرافية والأعلام.

وقد يطيل القول في غير محل الإطالة، ومرامه من ذلك إيضاح جوانب من الخلط في تحديد بعض المواضع عند متقدمي العلماء، مع إيراد بعض الأدلة في غير موضعها، مما ينبغي معه إمعان النظر في كثير من النصوص قبل الجزم بمدلولاتها. انظر كلامه عن قبر أبي رغال ص ٢٧٨ ـ ٢٨٤.

كتب الجاسر بعض ملحوظات على مؤلِّف التاج أذكرها هنا لأهميتها:

١ ـ عوّل على الجمع تعويلاً حاول فيه إبراز مقدمته، ولم يُعنَ كثيراً بالتحقيق.

٢ ـ نقل عن مخطوطات منها غير المتقن فوقع في أخطاء كثيرة.

٣ ـ كان فيما ينقل غير دقيق فقد كان يبتر النص، وقد يورده محرفاً. وقد ينسبه إلى كتاب ليس فيه، وقد ينقل نصاً غير صحيح.

٤ ـ لا يصح الاعتماد على ما ينفرد به من الآراء ما لم يتضح صوابها، فهو

في مؤلفاته يعتمد على الجمع كما يتضح هذا من كتابه (تاج العروس)، وإذا خرج عن النقل، وأتى برأي ينفرد به أغرب وأعجب. وذلك كله لا يغضُّ من جليل فضله ورفيع منزلته.

ومن أغرب الأمور التي لاحظها الجاسر في التحقيق: عدم الرجوع إلى مخطوطة شرح الفاسي شيخ الزبيدي للقاموس (إضاءة الراموس) الذي قال فيه الزبيدي: (وهو عمدتي في هذا الفن) مع سهولة الحصول على صورة تلك المخطوطة.

* * *

نظرات في المعجم الكبير

إعداد: الدكتور إبراهيم السامرائي وحمد الجاسر[(١)]

كان من أبرز أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه وضع معجم للغة، روعي في تأليفه الشمول والاستقصاء، والإحاطة بما في المعجمات اللغوية العربية من مفردات ومصطلحات للعلوم والفنون، مع ما أخلّت تلك المعجمات بذكره، مما ورد في غيرها من المؤلفات كدواوين الشعراء المتقدمين، وكتب الآداب أو الطب أو غيرها من العلوم، وما أقرّه المجمع من أسماء المصطلحات الحديثة، مع الرجوع في تفسير المواد اللغوية إلى البحث في جذورها لمعرفة الصلة بينها وبين اللغات التي لها بها صلة، كالسريانية والعبرية والحبشية.

إذ أن العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات، بل لها مظانٌّ أخرى يجب تتبُّعها والأخذ عنها، وفي مقدمتها كتب الأدب والعلم.

والمعجم لم يقف باللغة عند العصر الذي وقف بها عنده القدماء من أواسط القرن الثاني للهجرة، ولو فعل المجمع ما فعل القدماء من اللغويين لقضى على اللغة بأنها قد ماتت منذ ذلك العصر، وأصبحت تدرس كما تدرس الآثار.

والمعجم الكبير لون جديد في المعجمات العربية فيه تأصيل وتحقيق، وجمع واستيعاب، وفيه عمق ودقة، وأصالة وتجديد، ويسر وتيسير، وأُريد من هذا المعجم أن يكون دائرة معارف عامة، شاملة للغة العربية حديثة المنهج، ميسرة بالتعبير والتصوير، فهو لا يقف في تفسير المادة عند حد إيضاح المعنى اللغوي، بل يستعين بالرسم والصورة في كثير من الأحيان، فيما له صلة بالأمور التي تتطلب زيادة الإيضاح.

---

(١) الرياض ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (٢٦٠) صفحة، ١٤×٢٠.

وهو ثمرة جهد متواصل بذله عشرات من العلماء والباحثيين من رجال المجمع خلال زمن يزيد على ستين عاماً.

صدر من هذا الكتاب ثلاثة مجلدات ـ بالقطع الكبير ـ أولها الجزء الأول الذي صدر في عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ويحوي من الكلمات ما هو مبدوء بحرف الألف ويقع في ٧٠٠ صفحة، والجزء الثاني صدر في عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٨١م متضمناً المفردات المبدوءة بحرف الباء ويقع في (٧٦٨) صفحة، والثالث صدر عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م في (٣٩٣) من الصفحات وضمّ حرفي (التاء) و(الثاء).

قدّم الجاسر ما عنّ له من ملاحظات في أثناء مطالعة الأجزاء التي صدرت من المعجم الكبير، أغلبها ما يتصل بتحديد المواضع، وقد أطال النفس فيها محاولاً الإيضاح والإقناع، وأتبع ملاحظاته بذكر أعلام وأسماء مواضع ذِكْرُها من شرط المعجم الكبير لورودها في بعض الأخبار والأشعار وفات ذكرها مثل: (أبان بن عثمان بن عفان) أول مدون للسيرة النبوية الشريفة، وغيره من الأعلام الذين لهم شهرة، ومن المواضع (أُيام) وقد ورد شاهده في المعجم، ولم يذكر في موضعه، وأسماء مواضع أخرى وردت في المؤلفات القديمة في سياق بعض الأخبار.

كتب الجاسر نظراته وملاحظاته على الجزء الأول من الصفحة ٢٥ ـ ١٢٠، والثاني من الصفحة ١٥٥ ـ ٢٠٨، والثالث من الصفحة ٢٣٧ ـ ٢٦٠.

أما السامرائي، فكتب وقفات وتصحيحات لمواد لغوية ذكرت في المعجم، فكانت وقفاته على الجزء الأول من الصفحة ٧ ـ ٢٣، وعلى الثاني من الصفحة ١٢٣ ـ ١٥٤، وعلى الثالث من الصفحة ٢١١ ـ ٢٣٦.

ويلاحظ أن وقفات السامرائي قُدّمت على نظرات الجاسر في الكتاب، وذلك من فضل الجاسر وأريحيّته وتواضعه.

وكانت تلك النظرات والوقفات قد نشرت منجمة في مجلة العرب التي يصدرها الجاسر.

* * *

الفهرس

الموضوع | الصفحة

* * *